موسوعة الأخلاق

الجزء التاسع

العِزَّة - العَزْم والعَزِيمَة - العِفَّة

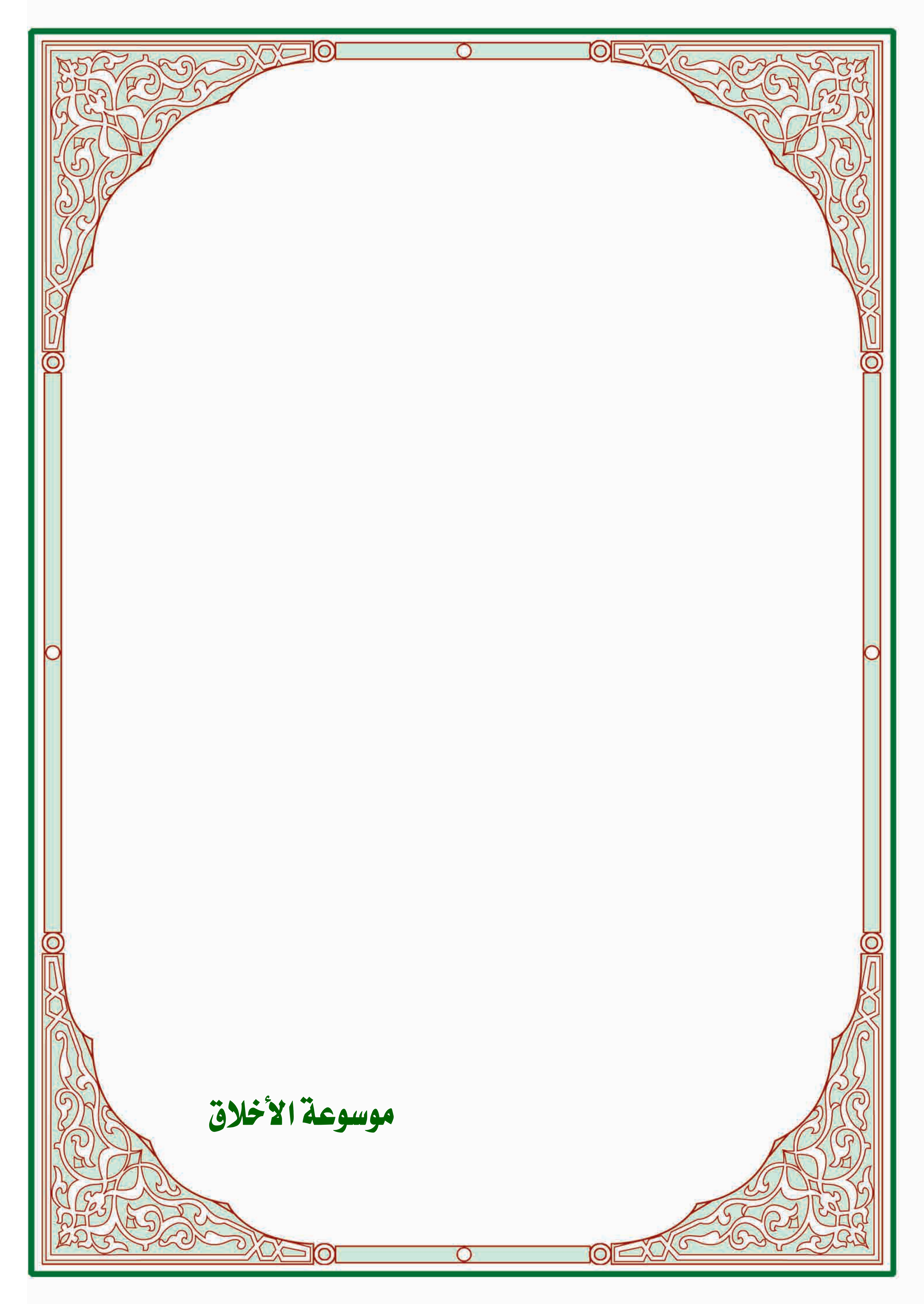
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبد القادر السَّقَّاف





موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء التاسع

العِزَّة - العَزْم والعَزِيمَة - العِفَّة

إعداد

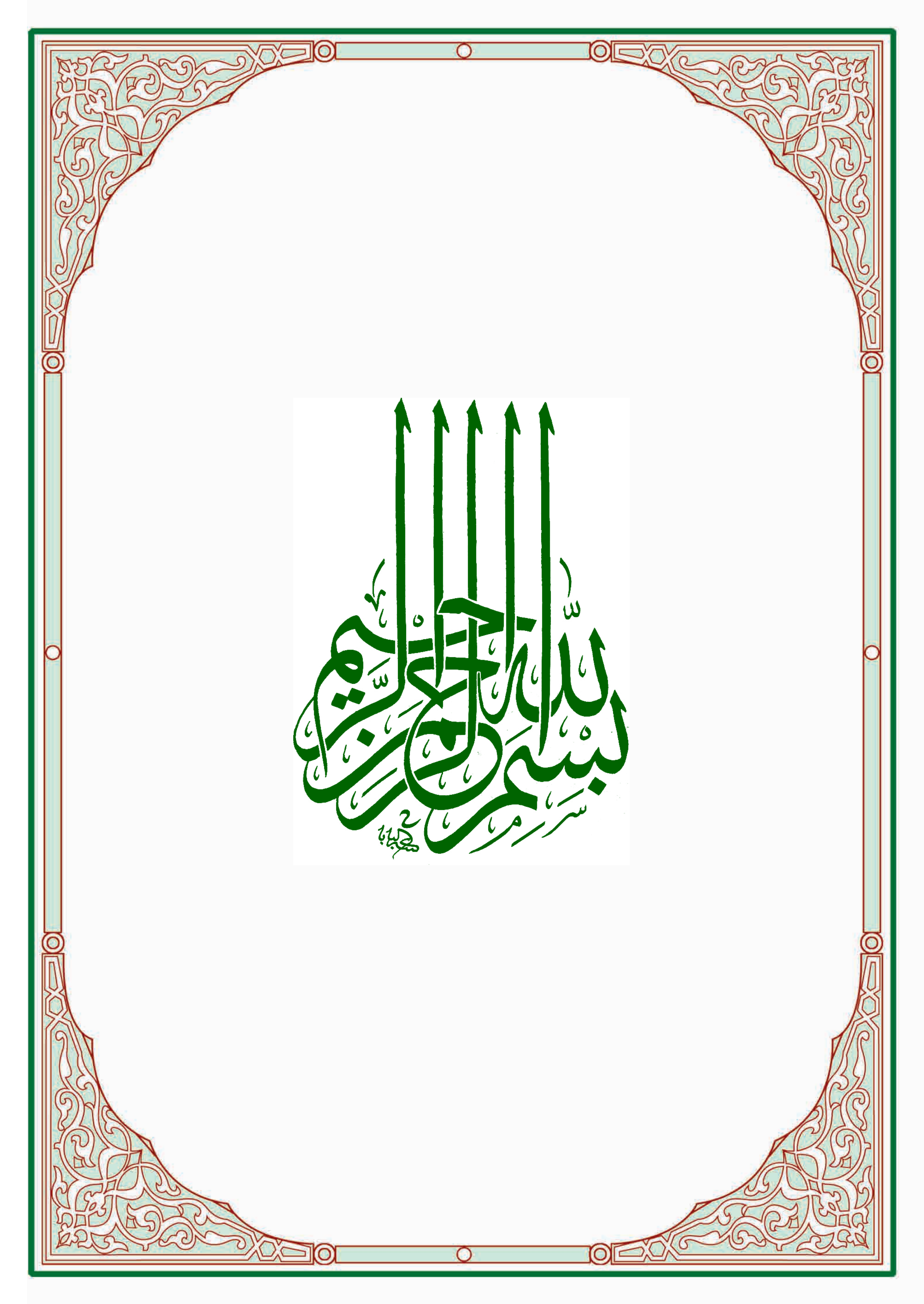
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

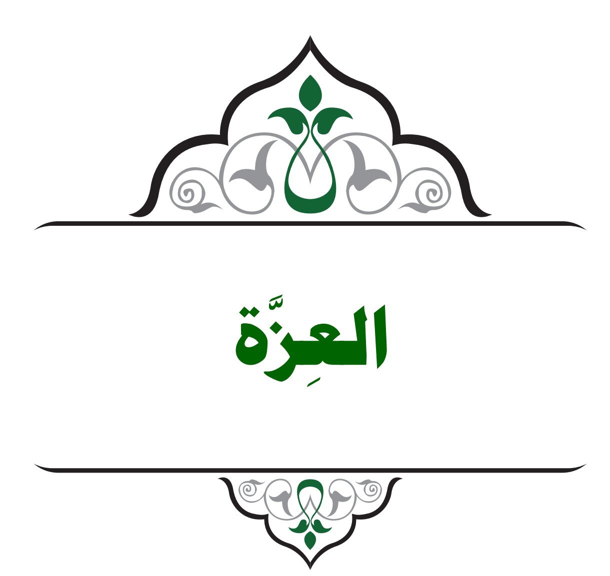
إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

الدُّرَرُ السَّنِيَّة

www.dorar.net


بسم الله الرحمن الرحيم



العِزَّة

العِزَّة

معنى العِزَّة لغةً واصطلاحًا:

• معنى العِزَّة لغةً:

العِزُّ: خلاف الذُلِّ. وهو في الأصل: القُوَّة والشِّدَّة والغَلَبَة والرِّفعة والامْتِنَاع. يقال: عَزَّ يَعَزُّ –بالفتح للمضارع–: إذا اشتَدَّ وقَوِيَ، وبالكسر للمضارع: إذا قَوِيَ وامتنَع، وبالضَّم: إذا غَلَب وقَهَر. ويقال: عَزَّ فلانٌ، أي: صَار عَزِيزًا، أي: قَوِيَ بعد ذِلَّة. وأعَزَّهُ الله. وهو يَعْتزُّ بفلان، ورَجُلٌ عَزِيزٌ: مَنِيعٌ، لَا يُغْلب، وَلَا يُقْهر. وعَزَّ الشَّيء: إذا لم يُقْدَر عليه، وعَزَّ الشَّخص: قَوِيَ وبَرِئ من الذُّل[1].

فهذه المادة في كلام العرب لا تخرج عن معانٍ ثلاثةٍ:

(أحدها: بمعنى الغَلَبَة، يقولون: مَنْ عَزَّ بزَّ. أي: من غَلَبَ سَلَبَ، يقال منه: عَزَّ يَعُزُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

والثَّاني: بمعنى الشِّدَّة والقُوَّة، يقال منه: عَزَّ يَعَزُّ.

والثَّالث: أن يكون بمعنى نَفَاسَة القَدْر، يقال منه: عَزَّ يَعِزُّ)[2].

• معنى العِزَّة اصطلاحًا:

العِزَّة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلَب[3].

---

(١) انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢١٩/١٥)، ((الصحاح)) للجوهري (٨٨/٣)، و((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣٨/٤-٣٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٧٤/٥، ٣٧٥). ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص ٢٤١)، ((شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)) لنشوان الحميري (٤٣١٠/٧)، ((مُعْجَم اللغة العربية المعاصرة)) (١٤٩٢/٢).

(٢) ((زاد المسير في علم التَّفسير)) لابن الجوزي (١/ ١١٣) – بتصرف.

(٣) ((تاج العروس)) للزبيدي (١٥/ ٢١٩).

وقيل: العِزَّة: القُوَّة والغَلَبَة والحَمِيَّة والأَنَفَة[١].

وقيل: العِزَّة: التَّأَبِّي عن حمل المذَلَّة، وقيل: التَّرَفُّع عمَّا تَلْحَقه غَضَاضَة[٢].

الفرق بين الشَّرَف والعِزَّة:

أنَّ العِزَّة تتضمَّن معنى الغَلَبَة والامْتِنَاع. فأمَّا قولهم: عَزَّ الطَّعام، فهو عَزِيزٌ، فمعناه: قَلَّ حتى لا يُقْدَر عليه، فشُبِّه بمن لا يُقْدَر عليه، لقُوَّته ومَنْعَته؛ لأنَّ العِزَّ بمعنى القِلَّة. والشَّرَف إنما هو في الأصل شَرَفُ المكان، ومنه قولهم: أَشْرَف فلان على الشَّيء، إذا صار فَوْقَه، ومنه قيل: شُرْفَة القصر، وأَشْرَف على التَّلَف، إذا قَارَبَه، ثمَّ استُعْمِل في كَرَم النَّسَب، فقيل للقرشي: شَرِيف. وكلُّ من له نسب مذكور عند العرب: شَرِيف. ولهذا لا يقال لله تعالى: شَرِيف، كما يقال له: عَزِيز[٣].

أهمية العِزَّة:

العِزَّة والإيمان صِنْوَان لا يفترقان، فمتى وَقَرَ الإيمان في قلب الرَّجل، وتشبَّع به كيَانُه، واختلط بشِغَاف قلبه، تشرَّب العِزَّة مباشرةً، فانبثقت منه أقوال وأفعال صادرة عن شعور عظيم بالفَخْر والاستعْلاء، لا فخرًا واستعلاءً على المؤمنين، بل هو على الكافرين. بل يَنْتُج -أيضًا- عن هذا الخُلُق الكريم، صِدْقُ الانتماء لهذا الدِّين، وقُوَّةُ الرَّابط مع أهله، والتَّواضُع لهم، والرَّحمة بهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [المنافقون: ٨] (فجعل العِزَّة صِنْو الإيمان في

---

(١) ((المعْجَم الوسيط)) (٢/٥٩٨).

(٢) ((مُعْجَم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم)) للسيوطي (ص ٢٠٣).

(٣) ((نضرة النعيم)) (٦/٢٣٤٤).

القلب المؤمن؛ العِزَّة المستمدَّة من عِزَّته تعالى، العِزَّة التي لا تَهُون ولا تَهُن، ولا تنحني ولا تلين، ولا تُزَايل القلب المؤمن في أحرج اللَّحظات، إلَّا أن يتضَعْضَع فيه الإيمان، فإذا استقرَّ الإيمان ورسخ، فالعِزَّة معه مستقِرَّة راسخة؛ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وكيف يعلمون وهم لا يتذوَّقون هذه العِزَّة، ولا يتَّصِلون بمصدرها الأصيل؟!)(١).

والعِزَّة تَنْتُج عن معرفة الإنسان لنفسه، وتقديره لها، وترفُّعه بها عن أن تصيب الدَّنايا، أو تُصَاب بها، أو أن تَخْنَع لغير الله عزَّ وجلَّ أو أن تركع لسواه، أو أن تُدَاهن، وتحابي في دين الله عزَّ وجلَّ ، أو أن ترضى بالدَّنيَّة فيه، فهي نتيجة طبيعيَّة لهذه المعرفة، كما أنَّ الكِبْر نتيجة طبيعيَّة للجهل بقيمة هذه النَّفس وبمقدارها، يقول الراغب الأصفهاني: (العِزَّة: منزلة شريفة، وهي نتيجة معرفة الإنسان بقدر نفسه، وإكرامها عن الضَّراعة للأعراض الدُّنيويَّة، كما أنَّ الكِبْر نتيجة جهل الإنسان بقدر نفسه، وإنزالها فوق منزلتها)(٢).

والعِزَّة في الإسلام الحنيف، يستشعرها الدَّاخل في الإسلام بمجرَّد نُطْقه للشَّهادتين، فهو قد دخل في دين الحقِّ، الذي لا يضاهيه دين، والذي أظهره الله على الدِّين كلِّه، ولولا اتِّصافه بهذه الصِّفات ما دخل فيه، ولا استسلم وخضع لأحكامه وتشريعاته، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التَّوبة: ٣٣]، وفي سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

---

(١) ((في ظلال القرآن)) لسيِّد قطب (٦/٣٥٨٠).
(٢) ((الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ٢١٥).

ومما يُظْهِر فضيلة هذه الصِّفة ومَزِيَّتها: أنَّ الله قد تسمَّى بها في كتابه، فسمَّى نفسه: العزيز، أي: الغَالِب الذي لا يُقْهر، واتَّصف بصفة العِزَّة الذي تضمَّنها الاسم. قال ابن بطَّال: (العزيز يتضمَّن العِزَّة، والعِزَّةُ يُحْتَمل أن تكون صفة ذات، بمعنى القُدْرَة والعظمة، وأن تكون صفة فعل، بمعنى القَهْر لمخلوقاته، والغَلَبَة لهم، ولذلك صحَّت إضافة اسمه إليها)[١].

وقال الغزالي: (العزيز: هو الخَطِير الذي يَقِلُّ وجود مِثْله، وتشتدُّ الحاجة إليه، ويصعُب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثَّلاثة، لم يُطْلَق عليه اسم العزيز... ثمَّ في كلِّ واحد من المعاني الثَّلاثة كمال ونقصان، والكمال في قلَّة الوجود: أن يرجع إلى واحد، إذْ لا أقلَّ من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مِثْله، وليس هذا إلا الله تعالى؛... وشدَّة الحاجة: أن يحتاج إليه كلُّ شيء في كلِّ شيء، حتى في وجوده وبقائه وصفاته، وليس ذلك -على الكمال- إلَّا لله عزَّ وجلَّ، والكمال في صعوبة المنَال: أن يستحيل الوصول إليه على معنى الإحاطة بكُنْهِه، وليس ذلك -على الكمال- إلَّا لله عزَّ وجلَّ، فإنَّا قد بيَّنَّا أنَّه لا يَعرف اللهَ إلَّا الله؛ فهو العزيز المطْلَق الحقُّ، لا يوازيه فيه غيره)[٢].

ويقول ابن القيِّم: (والعِزَّة يُرَاد بها ثلاثة معان: عِزَّة القُوَّة، وعِزَّة الامْتِنَاع، وعِزَّة القَهْر، والرَّبُّ -تبارك وتعالى- له العِزَّة التَّامة بالاعتبارات الثَّلاث)[٣].

كما أنَّه سَمَّى نفسه المعِزَّ، فهو الذي يَهَب العِزَّة لمن يشاء، كما أنَّه يُذِلُّ من يشاء، ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ**

(١) ((فتح الباري)) (لابن حجر) (١٣/ ٣٦٩).
(٢) ((المقصد الأسنى)) لأبي حامد الغزالي (٧٣- ٧٤).
(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/٢٤١).

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فهو المعِزُّ الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البَشَر، بما يُقيِّض له من الأسباب الموجِبَة للعِزِّ.

إذن فهو عزيز في ذاته، فلا يَحْصُل له الغَلَبَة والقَهْر من أحدٍ سبحانه وتعالى، ومُعِزٌّ لمن شاء من خَلْقه متى شاء، وكَيْفَمَا شاء.

الترغيب في العِزَّة:

أولًا: في القرآن الكريم

لم يفتأ كتاب الله عزَّ وجلَّ يبثُّ في قلب المؤمن وروحه هذا الشُّعور العظيم، الشُّعور بالعِزَّة المستمدَّة من عِزَّة هذا الدِّين وقُوَّته، والمسْتَلْهَمة من آيات كتابه وتعاليمه، عِزَّةٌ تجعله يترفَّع عن كلِّ ما من شأنه أن يَحُطَّ من قدره، أو يرْغِمه على إعطاء الدَّنيَّة في دينه.

ففي العديد من آيات الكتاب الكريم، ينبِّه المولى -تبارك وتعالى- على هذه القضيَّة، والتي ينبغي على المؤمن أن يجعلها نُصْب عينيه، فلا يغفل عنها، ولا يتساهل بها؛ لأنَّ الإسلام إنَّما جاء بالعِزَّة لأتباعه والرِّفعة لأوليائه.

وقبل أن نشْرَع في ذكر الآيات التي تحثُّ على صفة العزة وتدعو إليها، نذكر قول ابن الجوزي وهو يتحدَّث عن العِزَّة في القرآن، فيقول:

(ذكر بعض المفسِّرين أنَّ العِزَّة في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: العَظَمَة. ومنه قوله تعالى في سورة الشُّعراء: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: ٤٤]، وفي ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

والثَّاني: المنْعَة. ومنه قوله تعالى في سورة النِّساء: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: ١٣٩].

والثَّالث: الحَمِيَّة. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وفي سورة ص: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢])[١].

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

(أي: من كان يَوَدُّ أن يكون عزيزًا في الدُّنْيا والآخرة، فليلزم طاعة الله تعالى، فإنَّ بها تُنَال العِزَّة؛ إذْ لله العِزَّة فيهما جميعًا)[٢].

ويقول الشِّنقيطي: (بيَّن -جلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة: أنَّ من كان يريد العِزَّة، فإنَّها جميعها لله وحده، فليطلبها منه، وليتسبَّب لنيلها بطاعته -جلَّ وعلا- فإنَّ مَنْ أطاعه، أعطاه العِزَّة في الدُّنْيا والآخرة)[٣]. و(هذه الحقيقة كفيلة -حين تستقرُّ في القلوب- أن تبدِّل المعايير كلَّها، وتبدِّل الوسائل والخطط أيضًا! إنَّ العِزَّة كلَّها لله، وليس شيء منها عند أحد سواه، فمن كان يريد العِزَّة، فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره. ليطلبها عند الله، فهو واجدها هناك، وليس بواجدها عند أحد، ولا في أي كَنَف، ولا بأي سبب ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾)[٤].

- وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وهنا (يضمُّ الله -سبحانه- رسوله

(١) ((نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر)) لابن الجوزي (ص ٤٣٥).
(٢) ((تفسير المراغي)) لأحمد مصطفى المراغي (١١٢/٢٢).
(٣) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢٨٠/٦).
(٤) ((المصدر السابق)).

والمؤمنين إلى جانبه، ويُضْفِي عليهم من عِزَّته، وهو تكريم هائل، لا يكرِّمه إلا الله! وأي تكريم بعد أن يُوقِف الله –سبحانه– رسوله والمؤمنين معه إلى جواره، ويقول: ها نحن أُولاء! هذا لواء الأعزَّاء)[١].

– وقال الله –تبارك وتعالى–: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النِّساء: ١٣٩].

قال ابن كثير: (أخبر تعالى بأنَّ العِزَّة كلَّها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]، والمقصود من هذا التَّهْيِيج على طلب العِزَّة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديَّته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النُّصْرَة في هذه الحياة الدُّنْيا، ويوم يقوم الأشهاد)[٢].

ويقول الطَّبري: (فإنَّ الذين اتخذوهم –أي المنافقين– من الكافرين أولياء ابتغاء العِزَّة عندهم، هم الأذلَّاء الأقلَّاء، فهلَّا اتَّخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العِزَّة والمنْعة والنُّصْرَة من عند الله الذي له العِزَّة والمنْعَة، الذي يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، فيُعِزُّهم ويمنعهم)[٣].

– وقال الله –تبارك وتعالى–: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

في هذه الآية الكريمة أدب قرآني عظيم، وتوجيه ربَّانيٌّ كبير للثُّلَّة المؤمنة

(١) ((في ظلال القرآن)) لسيِّد قطب (٦/٣٥٨٠).
(٢) ((تفسير ابن كثير)) (٢/٤٣٥).
(٣) ((تفسير الطَّبري)) (٩/٣١٩).

المجاهدة والصَّابرة، يحثُّهم فيه على عدم الهَوَان الذي ينافي العِزَّة ويضادُّها، ويُنْهِيها ويقضي عليها.

فهو أمرٌ للمؤمنين بالثَّبات على عِزَّتهم، حتى في الأوقات العصيبة؛ لتبقى العِزَّة ملازمة لهم، لا تنفكُّ عنهم في الضرَّاء والسَّرَّاء، في الفرح والحزن، في الحرب والسِّلم، في النَّصْر والهزيمة.

يقول الفَخْر الرَّازي: (كأنَّه قال: إذا بحثتم عن أحوال القرون الماضية، علمتم أنَّ أهل الباطل، وإن اتَّفقت لهم الصَّولة، لكن كان مآل الأمر إلى الضَّعف والفُتور، وصارت دولة أهل الحقِّ عالية، وصَوْلة أهل الباطل مُنْدَرِسة، فلا ينبغي أن تصير صَوْلَة الكفَّار عليكم -يوم أُحد- سببًا لضعف قلبكم وجُبْنكم وعجزكم، بل يجب أن يقْوى قلبكم، فإنَّ الاستعلاء سيحصل لكم، والقُوَّة والدَّولة راجعة إليكم)(١).

- قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

في هذه الآية الكريمة يُبيِّن الله -تبارك وتعالى- أنَّ العِزَّة على أهل الكفر، هي صفة من صفات جيل التَّمْكين، الذين أحبَّهم الله وأحبُّوه، وارتضاهم بديلًا عمَّن يرتد عن دينه، وبالمقابل فهم أذلَّة في تعاملهم مع إخوانهم من أهل الإيمان، يَخْفِضُون لهم الجناح تواضعًا، ويلينون لهم القول.

يقول الشِّنقيطي في ((أضواء البيان)): (أخبر تعالى المؤمنين -في هذه الآية

(١) ((تفسير الرازي)) (٩/ ٣٧١).

الكريمة- إنَّهم إن ارتدَّ بعضهم، فإنَّ الله يأتي -عوضًا عن ذلك المرتد- بقوم، من صفاتهم: الذُّل للمؤمنين، والتَّواضع لهم، ولين الجانب، والقسوة والشِّدَّة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين)[١].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ[٢] ولا وَبَرٍ[٣] إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر))[٤]، وكان تميم الدَّاري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخيرُ والشَّرَف والعزُّ، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذُّل والصَّغَار والجِزْية.

- وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله الله كلمة الإسلام، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أو ذُلِّ ذَليلٍ، إمَّا يُعِزُّهم الله، فيجعلهم من أهلها، أو يُذِلهُّم، فيدينون لها))[٥].

---

(١) ((أضواء البيان)) (١/ ٤١٥).

(٢) مدر: الطين الصلب. ((شرح النووي على مسلم)) (١٨/٦٩).

(٣) الوبر: صوف أو شعر. ((تحفة الأحوذي)) لعبد الرحمن المباركفوري (٦/٤١٩).

(٤) رواه أحمد (٤/١٠٣) (١٦٩٩٨)، والطَّبراني (٢/٥٨) (١٢٨٠)، والحاكم (٤/٤٧٧)، والبيهقي (٩/١٨١) (١٩٠٨٩). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦/١٧): رجاله رجال الصَّحيح. وقال الألباني في ((تحذير الساجد)) (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

(٥) رواه أحمد (٦/٤) (٢٣٨٦٥)، والطَّبراني (٢٠/٢٥٤) (٦٠١)، وابن حبان (١٥/٩١) (٦٦٩٩)، والحاكم (٤/٤٧٦)، والبيهقي (٩/١٨١) (١٩٠٨٩). قال ابن عساكر في ((مُعْجَم الشيوخ)) (١/٤١٧)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦/١٧): رجاله رجال =

ففي هذا الحديث يُبَشِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِعِزِّ هذا الدِّين وتمكينه في الأرض، وأنَّ هذا العِزَّ والتَّمكين سيكون سواءً بِعِزِّ عَزِيزٍ، أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، أي: (أدخل الله تعالى كلمة الإسلام في البيت مُلْتَبسة بِعِزِّ شخص عزيز، أي يُعِزُّه الله بها، حيث قَبِلها من غير سَبْيٍ وقتال، ((وذُلِّ ذَلِيلٍ)) أي: أو يُذِلُّه الله بها حيث أباها، والمعنى: يُذِلُّه الله -بسبب إبائها- بِذُلِّ سَبْيٍ أو قتال، حتى ينقاد إليها كَرْهًا أو طَوْعًا، أو يُذْعِن لها ببذل الجِزْية. والحديث مُقْتَبَسٌ من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التَّوبة: ٣٣]، ثمَّ فسَّر العِزَّ والذُّل بقوله: (إمَّا يُعِزُّهم) أي: قومًا أَعَزُّوا الكلمة بالقبول، ((فيجعلهم من أهلها)) بالثَّبات إلى الممات، ((أو بِذُلِّهم)) أي: قومًا آخرين لم يلتفتوا إلى الكلمة وما قبلوها، فكأنَّهم أذَلُّوها، فَجُوزُوا بالإذلال جزاءً وفاقًا، ((فيدينون لها))... أي يُطيعون وينقادون لها)[1].

- و((أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُيينة بن حصن بن حذيفة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة، رئيسي غَطَفَان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، وجرت المراوَضةَ في ذلك، ولم يتمَّ الأمر، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فقالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به فلا بدَّ لنا منه؟ أم شيء تحبُّه فنصنعه، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أنِّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطيقون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرَى

= الصَّحيح. وحسَّن إسناده الألباني في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٣٩)، وصحَّحه الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (١١٥٩).

(١) ((مرقاة المفاتيح)) لملا علي القاري (١/ ١١٦).

أو بَيْعًا، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام، وهدانا له، وأعزَّنا بك وبه- نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلَّا السَّيف. فصوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، وتمادوا على حالهم))[١].

وهكذا كأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يربِّيهم على معاني العِزَّة، ويغرسها في قلوبهم غرسًا.

أقوال الصحابة والسَّلف والعلماء في العِزَّة:

- قال عبد الله بن عمرو: (إيَّاك وعزَّة الغضب، فيضيرك إلى ذُلِّ الاعتذار. وإذا ما عَرَتك في الغضب العِزَّة فاذكر مَذَلَّة الاعتذار)[٢].

- وقيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: فيك عَظَمَة. قال: لا، بل فيَّ عِزَّة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨][٣].

- وقال ابن أبي لبابة: (من طلب عِزًّا بباطل، أورثه الله ذُلًّا بحقٍّ)[٤].

- قال رجل للحسن: (إنِّي أريد السِّند فأوصني. قال: أَعِزَّ أَمْرَ الله حيث ما كنت، يُعِزَّك الله. قال: فلقد كنت بالسِّند، وما بها أحدٌ أعزَّ منِّي)[٥].

- وقال ابن عطاء: (العِزُّ في التَّواضع، فمن طلبه في الكِبْر، فهو كتطلُّب الماء من النَّار).

---

(١) ذكره ابن حزم في ((جوامع السيرة)) (ص ١٨٨).
(٢) ((الشكوى والعتاب)) للثعالبي (ص ٢٣٩).
(٣) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٢/٢٢٠).
(٤) ((المصدر السابق)).
(٥) ((الشكوى والعتاب)) للثعالبي (٢٣٩، ٢٤٠).

- وقال الأحنف: (لا تعدَّنَّ شَتم الوالي شَتْمًا، ولا إغلاظه إغلاظًا، فإنَّ ريح العِزَّة تُبْسط اللِّسان بالغلظة في غير بأس ولا سخط)(١).

- وقال بعض السَّلف: (النَّاس يطلبون العِزَّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلَّا في طاعة الله)(٢).

- وقال إبراهيم بن شيبان: (الشَّرَف في التَّواضع. والعِزُّ في التَّقوى. والحرِّية في القناعة).

- وعن سفيان الثَّوري أنَّه قال: (أَعَزُّ الخَلْق خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقيه صوفيٌّ، وغنيٌّ متواضع، وفقير شاكر، وشريف سني)(٣).

- وكان من دعاء بعض السَّلف: (اللهمَّ أعِزَّني بطاعتك، ولا تذلَّني بمعصيتك)(٤).

- وقال آخر: (إذا طلبت العِزَّة، فاطلبها في الطَّاعة، وإن طلبت الغِنى، فاطلبه في القناعة)(٥).

- وقال الغزالي: (من رزقه القناعة حتى استغنى بها عن خَلْقه، وأمدَّه بالقوَّة والتَّأييد حتى استولى بها على صفات نفسه، فقد أعزَّه، وآتاه الملك عاجلًا، وسيعزُّه في الآخرة بالتَّقريب)(٦).

- وقال -أيضًا-: (العزيز من العباد: من يحتاج إليه عباد الله في أهمِّ

---

(١) ((نثر الدر في المحاضرات)) لأبي سعد الآبي (٥/ ٤١).
(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ٤٨).
(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٣١٤).
(٤) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص ٥٩).
(٥) ((الكشكول)) لبهاء الدين العاملي (٢/ ٦٦).
(٦) ((المقصد الأسنى))، بتصرف يسير (ص ٨٩).

أمورهم، وهي الحياة الأخرويَّة، والسَّعادة الأبديَّة، وذلك ممَّا يَقِلُّ -لا محالة- وجوده، ويصعب إدراكه، وهذه رتبة الأنبياء -صلوات الله عليهم أجمعين- ويشاركهم في العزِّ، من ينفرد بالقُرب من درجتهم في عصره، كالخلفاء وورثتهم من العلماء، وعزَّة كلِّ واحدٍ منهم بقدر عُلوِّ رتبته عن سهولة النَّيل والمشاركة، وبقدر عنائه في إرشاد الخَلْق)(١).

- وقال ابن القيِّم: (العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾. [آل عمران: ١٣٩] فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا)(٢).

- وقال ابن باديس: (الجاهل يمكن أن تعلِّمه، والجافي يمكن أن تهذِّبه، ولكن الذَّليل الذي نشأ على الذُّلِّ، يَعْسُر أو يتعذَّر أن تغرس في نفسه الذَّليلة المهينة عزَّةً وإباءً وشهامةً تُلْحِقه بالرِّجال)(٣).

أقسام العِزَّة:

الخُلُق المحمود دائمًا ما يكون خُلقًا بين خُلقين مذمومين، فهو وسط بينهما، قال ابن القيِّم: (وكلُّ خُلُق محمود مُكْتَنَف بخُلقين ذميمين. وهو وسط بينهما. وطرفاه خُلُقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خُلُقان: البخل

(١) ((المقصد الأسنى)) للغزالي، بتصرف يسير (٧٣-٧٤).
(٢) ((إغاثة اللهفان)) (٢/١٨١).
(٣) ((تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)) (ص ٣٩٢).

والتَّبذير. والتَّواضع الذي يكتنفه خُلُقان: الذُّل والمهَانة، والكِبْر والعُلُو. فإنَّ النَّفس متى انحرفت عن التَّوسط، انحرفت إلى أحد الخُلُقين الذَّميمين ولا بدَّ...)[١]، وهكذا هو حال في العِزَّة، فهي خُلُق بين خُلُقين، أحدهما: الكِبْرْ، والآخر: الذُّل والهَوَان، والنَّفس (إذا انحرفت عن خُلُق العِزَّة -التي وهبها الله للمؤمنين- انحرفت إمَّا إلى كِبْرٍ، وإمَّا إلى ذُلٍّ. والعِزَّة المحمودة بينهما)[٢].

وقد ذكر الله العِزَّة في مواطن، فمدحها حينًا، وذمَّها حينًا آخر، (فمن الأوَّل: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصَّافَّات: ١٨٠]، ومن الثَّاني: قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢]، وبيان ذلك: أنَّ العِزَّة التي هي لله -جلَّ وعلا-، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وللمؤمنين -رضوان الله عليهم- هي الدَّائمة الباقية؛ التي هي العِزَّة الحقيقيَّة. والعِزَّة التي هي للكافرين والمخَالفين هي: التَّعزُّز، وهو -في الحقيقة- ذُلٌّ)[٣].

وعلى ما سبق، يُمْكِننا أن نقسِّم العِزَّة إلى قسمين: شرعيَّة، وغير شرعيَّة.

العِزَّة الشَّرعيَّة:

إنَّها العِزَّة الحقيقيَّة.. العِزَّة في الحقِّ، وبالحقِّ، والتي يكون صاحبها عزيزًا ولو كان ضعيفًا مَظْلومًا، شامخًا ولو كان طريدًا مُستضَامًا، فتجده لا يركع إلا لله، ولا يتنازل عن شيء ممَّا أَمَره به، فهو يَعْتَزُّ بعِزَّة الله -تبارك وتعالى-، الذي يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء. فهذه هي العِزَّة بالحقِّ؛ لأنَّها اعْتِزَاز بمن يملكها، وإذعان له، وانتساب لشرعه وهديه.

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٢٩٥).
(٢) ((المصدر السابق)) (٢/٢٩٦).
(٣) ((الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية)) للمناوي (ص ٨٢).

وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ووجه ذلك: أنَّ العِزَّة - التي لله ولرسوله وللمؤمنين - هي الدَّائمة الباقية، التي هي العِزَّة الحقيقيَّة، والعِزَّة التي هي للكافرين: هي التَّعزُّز، وهو -في الحقيقة- ذُلٌّ.

إنَّ (العِزَّة والإِباء والكرامة من أبرز الخِلَال التي نادى بها الإسلام، وغرسها في أنحاء المجتمع، وتعهَّد نماءها بما شرع من عقائد، وسنَّ من تعاليم، وإليها يشير عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بقوله: أُحِبُّ الرَّجل -إذا سِيمَ خطَّة خَسْف[١]- أن يقول -بملء فيه-: لا)[٢].

صور العِزَّة الشَّرعيَّة:

١- الاعْتِزَاز بالله تبارك وتعالى:

فهو يعرف أنَّ الله عزيز، يَهَب العِزَّة من يشاء، كما أنَّه ينزعها ممَّن يشاء، كما أنَّه يوقن أنَّ الاعْتِزَاز بالعزيز عزَّة، والاعتماد عليه قوَّة، والالتزام بنَهْجِه شموخ، فتراه قويًّا بإيمانه به، عزيزًا بتوكُّله عليه، شامخًا بيقينه به.

وهو يعلم أنَّ الاعْتِزَاز بغيره ذلٌّ وهَوَان، والاستقواء بغيره ضعف، مُعْتَبِرًا بحال كلِّ من اعتزَّ بغير الله تعالى كيف هَوَى إلى مدارك الذِّلة، وهبط إلى حضيض المهَانة، وكيف تخلَّى عنه من اعتزَّ بهم، ليتَدَحْرج من ذُرَى العلياء والمجد -المزعوم الكاذب- إلى أسفل دركات الذُّلِّ؛ قال عبيدة بن أبي لبابة: (من طلب عزًّا بباطل وجور، أورثه الله ذُلًّا بإنصاف وعدل)[٣].

---

(١) الخسف: الإذلال وتحميل الإنسان ما يكره. ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ٦٨).

(٢) ((خلق المسلم)) لمحمد الغزالي (ص ١٨١).

(٣) ((غرر الخصائص الواضحة)) للوطواط (ص ٥٢٣).

٢- الاعْتِزَاز بالانتساب للإسلام، والاعْتِزَاز بهديه وشرائعه:

فهو يعلم أنَّ هذا الدِّين دين العِزَّة والقوَّة، الذي يستمدُّ المسلمون عزَّهم من عِزِّه، وقوَّتهم من قوَّته، ومتى طلبوا العِزَّة في سواه -من مناهج الأرض الشَّرقيَّة أو الغربيَّة- أذلَّهم الله.

كما أنَّه لا يعتزُّ بقبيلة أو قوميَّة أو نسب أو عِرْق ممَّا ينتسب إليه أهل الجاهليَّة في القديم والحديث، بل عزَّته بدينه فقط، وعلى هذا ربَّى نبيُّنا صلى الله عليه وسلم أصحابه، فلمَّا سمعهم -بأبي هو وأمي، صلَّى الله عليه وسلَّم- ينادي بعضهم: يا للأنصار، وآخرون ينادون: يا للمهاجرين. قال صلى الله عليه وسلم: ((أبِدَعْوَى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم))(١)، وقال: ((دعوها فإنَّها منتنة))(٢).

حال المسلم -في اعْتِزَازه بدينه- كحال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حين قال: (نحن أمَّة أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العِزَّة بغيره، أذلَّنا الله)(٣).

فلا اعْتِزَاز إلَّا بالإسلام، ولا انتماء إلَّا إلى الإسلام.

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

٣- الاعْتِزَاز برسول الله صلى الله عليه وسلم:

فهو يعتَزُّ بكونه فَرْدًا في أمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم ، ينتسب إليه إذا انتسبت الأمم، ويُفَاخر به إذا ذُكِر القادة والمصلحون العظماء، يرجو

---

(١) ذكرها ابن هشام في ((السِّيرة)) (ص ٥٥٥)، قال الشَّوكاني في ((فتح القدير)) (١/٥٤٨): رُوِيت هذه القصَّة مختصرة ومطولة من طُرُق.

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٠٦).

(٣) رواه -بنحوه- الحاكم (١/١٣٠)، وصحَّحه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصَّحيحة)) (١/١١٧) على شرط الشيخين.

شفاعته، ويتمنَّى لقائه، ويسأل الله أن يوفِّقه للسِّير على نهجه وإحياء سنَّته، والقيام بحقوقه.

٤- إظهار العِزَّة على الكافرين، والذِّلَّة وخفض الجناح للمؤمنين:

وهذه من أعظم صور العِزَّة ومظاهرها: أن يُرِي المؤمن الكافرين من نفسه عزَّةً وقوَّةً واستعلاءً، لا كِبْرًا وبَطَرًا، بل إظهارًا لقوَّة هذا الدِّين وعزَّته وعلوِّه، قال الله عزَّ وجلَّ وهو يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، فهم رُحَماء فيما بينهم، ألَّا إنَّهم أشدَّاء على الكافرين، أقوياء في مواجهتهم. وقال -تبارك وتعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهذه صفتهم التي استحقُّوا بها التَّمكين، ونالوا بها شرف القيادة، فهم أذِلَّة على المؤمنين، خافضين الجناح لهم، ليِّنين في تعاملهم معهم، إلَّا أنَّهم -في الجانب الآخر- أشدَّاء أقوياء على الكافرين.

العِزَّة غير الشَّرعيَّة:

كاعْتِزَاز الكفَّار بكفرهم، وهو -في الحقيقة- ذُلٌّ، يقول -سبحانه-: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] أو الاعْتِزَاز بالنَّسب على جهة الفَخْر، أو الاعْتِزَاز بالوطن والمال ونحوها، كلُّ هذه مذمومة.

من صور العِزَّة غير الشَّرعيَّة:

١- الاعْتِزَاز بالكفَّار من يهود ونصارى ومنافقين وغيرهم:

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

ﭐلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [النِّساء: ١٣٨-١٣٩].

(واللهُ -جلَّ جلاله- يسأل في استنكار: لِمَ يتَّخذون الكافرين أولياء، وهم يزعمون الإيمان؟ لِمَ يضعون أنفسهم هذا الموضع، ويتَّخذون لأنفسهم هذا الموقف؟ أهم يطلبون العِزَّة والقوَّة عند الكافرين؟ لقد استأثر الله عزَّ وجلَّ بالعِزَّة، فلا يجدها إلَّا من يتولَّاه، ويطلبها عنده، ويَرْتَكِن إلى حِماه)(١).

٢- الاعْتِزَاز بالآباء والأجداد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ((لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنَّما هم فَحْم جهنَّم، أو ليكوننَّ أهْوَن على الله من الجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بأنفه، إنَّ الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهليَّة وفخرها بالآباء، إنَّما هو مؤمن تقيٌّ، وفاجر شقيٌّ، النَّاس كلُّهم بنو آدم، وآدم خُلِق من تراب))(٢).

٣- الاعْتِزَاز بالقبيلة والرَّهط:

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ۝٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [هود: ٩١-٩٢].

---

(١) ((في ظلال القرآن)) لسيِّد قطب (٢/ ٧٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) واللَّفظ له، وأحمد (٢/٣٦١) (٨٧٢١)، والبيهقي (١٠/٢٣٢) (٢١٥٩٣) قال الترمذي: حسن غريب. وحسَّن إسناده المنذري في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (٤/٦٢)، وصحَّحه ابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (١/٢٤٧)، وحسَّنه الألباني ((صحيح سنن الترمذي)) (٣٩٥٥).

(أَجَماعة من البَشَر -مهما يكونوا من القُوَّة والمنْعة- فهم ناس، وهم ضِعَاف، وهم عِبَاد من عِبَاد الله.. أهؤلاء أعزُّ عليكم من الله؟ أهؤلاء أشدُّ قوَّة ورهبة في نفوسكم من الله؟ ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ [هود: ٩٢] . وهي صورة حسِّية للتَّرك والإعراض، تزيد في شناعة فِعْلَتهم، وهم يتركون الله ويُعْرِضون عنه، وهم من خَلْقه، وهو رازقهم وممتِّعهم بالخير الذي هم فيه. فهو البَطَر وجحود النِّعمة وقلَّة الحياء، إلى جانب الكفر والتَّكذيب وسوء التَّقدير)[١].

وعن أبي مالك الأشعري، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أربع في أمَّتي من أمر الجاهليَّة، لا يتركونهنَّ: الفَخْر في الأحساب، والطَّعن في الأنساب، والاستسقاء بالنُّجوم، والنِّياحة))، وقال: ((النَّائحة إذا لم تتب قبل موتها، تُقَام يوم القيامة وعليها سِرْبَال من قَطِرَان ودِرْع من جَرَب[٢]))[٣].

٤- الاعْتِزَاز بالكثرة، سواءً كان بالمال أو العدد:

قال تعالى في قصَّة صاحب الجنَّة، في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: ٣٤].

قال ابن كثير: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ (أي: أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا.

قال قتادة: تلك -والله- أمنيَّة الفاجر: كثرة المال وعزَّة النَّفر[٤]).

---

(١) ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (١٩٢٢/٤).

(٢) (سربال) أي: قميص (من قطران) طلاء يطلى به، وقيل: دهن يدهن به الجمل الأجرب، (ودرع) أي قميص، (من جرب) أي: من أجل جرب كائن بها. انظر: ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) لملا علي القاري (٣/ ١٢٣٥).

(٣) ((صحيح مسلم)) (٩٣٤).

(٤) ((تفسير ابن كثير)) (٥/ ١٥٧).

٥- الاعْتِزَاز بجمال الثِّياب:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من لبس ثوب شُهْرة في الدُّنْيا، ألبسه الله ثوب مذلَّة يوم القيامة))[1].

(والمراد أنَّ ثوبه يَشْتَهر بين النَّاس، لمخالفة لونه لألوان ثيابهم، فيرفع النَّاس إليه أبصارهم، ويختال عليهم بالعُجب والتَّكبُّر.

قال ابن رسلان: لأنَّه لَبِس الشُّهْرَة في الدُّنْيا ليَعِزَّ به، ويفتخر على غيره، ويُلْبِسه الله -يوم القيامة- ثوبًا يَشْتهر مذلَّته واحتقاره بينهم عقوبةً له، والعقوبة من جنس العمل، انتهى.

وقوله: ((ثوب مذَلَّة))، أي: أَلْبَسه الله -يوم القيامة- ثوب مذَلَّة، والمراد به: ثوب يوجب ذِلَّته يوم القيامة، كما لَبِس في الدُّنْيا ثوبًا يتعَزَّز به على النَّاس، ويترفَّع به عليهم)[2].

٦- الاعْتِزَاز بالأصنام والأوثان:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

(فهؤلاء -الذين كفروا ربَّهم- يتَّخذون من دونه آلهة، يطلبون عندها العِزَّة، والغَلَبَة والنُّصْرَة، وكان فيهم من يعبد الملائكة، ومن يعبد الجنَّ ويستنصر بهم، ويتَّقون بهم ﴿كَلَّا﴾، فسيكفر الملائكة والجنُّ بعبادتهم، وينكرونها عليهم،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٩٢٢)، وأحمد (٢/٩٢) (٥٦٦٤) والنَّسائي في ((السنن الكبرى)) (٥/٤٦٠) (٩٥٦٠)، وأبو يعلى (١٠/٦٢) (٥٦٩٨). وقال الشَّوكاني في ((الدراري المضية)) (٨٠): إسناده رجاله ثقات. وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٨/٤٣)، وحسَّن الحديث الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٢٩٢٢).

(٢) ((عون المعبود)) للعظيم آبادي (١١/ ٥٠، ٥١).

ويَبْرَؤون إلى الله منهم، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ بالتَّبرُّؤ منهم، والشَّهادة عليهم)[١].

أسباب العِزَّة الشَّرعيَّة:

١- الاعتقاد الجازم والإيمان اليقينيُّ بأنَّ الله تعالى هو العزيز الذي لا يَغْلِبه شيء، وأنَّه هو مصدر العِزَّة وواهبها. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فلا نصر إلَّا به، ولا استئناس إلَّا معه، ولا نجاح إلَّا بتوفيقه.

قال ابن القيِّم: (العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو عِلمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا)[٢].

وهنا يُقْبِل مُريد العِزَّة على طاعة الله -تبارك وتعالى- فبمقدار طاعته له، تكون العِزَّة والشَّرَف والسُّؤدد، والعكس.. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، قال طنطاوي: (والمعنى: من كان من النَّاس يريد العِزَّة التي لا ذِلَّة معها. فليطع الله، وليعتمد عليه وحده، فللَّه- تعالى- العِزَّة كلُّها في الدُّنْيا والآخرة، وليس لغيره منها شيء... قال القرطبي ما ملخَّصه:

---

(١) ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٤/٢٣٢٠) بتصرف يسير.

(٢) ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/١٨١).

يريد –سبحانه– في هذه الآية، أن ينبِّه ذوي الأقدار والهمم، من أين تُنَال العِزَّة، ومن أين تُسْتَحق، فمَنْ طلب العِزَّة من الله– تعالى– وجدها عنده – إن شاء الله–، غير ممنوعة ولا محجوبة عنه.. ومن طلبها من غيره، وَكَلَه إلى من طلبها عنده... ولقد أحسن القائل.

وإذا تذلَّلَتِ الرِّقاب تواضعًا   منَّا إليك فعزُّها في ذلِّها[1]

وقال قتادة: (من كان يريد العِزَّة، فليتعزَّز بطاعة الله تعالى)[2].

وكما أنَّ الطَّاعة تكسو الإنسان ثوب العِزَّة، وتَخْلَع عليه ثياب الكرامة، فإنَّ المعصية تكسوه ثياب الذُّلِّ، وتَخْلَع عليه المهَانة والانكسار، (والمعاصي تَسْلُب صاحبها أسماء المدح والشَّرَف والعِزَّة، وتكسوه أسماء الذُّل والذَّمِّ والصَّغار، وشتَّان ما بين الأمرين: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨])[3].

٢- صدق الانتماء لهذا الدِّين، والشُّعور بالفَخْر للانتساب له، والاعْتِزَاز به، حتى ولو كان ذلك في زمن الاستضعاف، واستقواء أعداء المسلمين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله الله هذا الدِّين، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر))[4].

---

(١) ((التَّفسير الوسيط)) للطنطاوي (٣٢٩/١١).

(٢) ((السراج المنير)) للخطيب الشِّربيني (٣١٥/٣).

(٣) ((موسوعة فقه القلوب)) للتويجري (٤/ ٢٩٢٧).

(٤) رواه أحمد (١٠٣/٤) (١٦٩٩٨)، والطَّبراني (٥٨/٢) (١٢٨٠)، والحاكم (٤٧٧/٤)، والبيهقي (١٨١/٩) (١٩٠٨٩). من حديث تميم الدَّاري رضي الله عنه. قال الهيثمي في =

٣- **متابعة الرَّسول صلى الله عليه وسلم في هديه، وطاعته في أمره، ولزوم سنَّته،** فإنَّه بقدر ذلك تكون عِزَّة العبد في الدُّنْيا، وفلاحه في الآخرة، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله ابن عمرو أنَّه قال: ((بُعِثْت بالسَّيف بين يدي السَّاعة، وجُعِل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعل الذُّل والصَّغار على من خالف أمري))(١).

يقول ابن القيِّم: (والمقصود أن بحسب متابعة الرَّسول تكون العِزَّة والكِفَاية والنُّصْرَة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنَّجاة، فالله - سبحانه - علَّق سعادة الدَّارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدَّارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعِزَّة والكِفَاية والنُّصْرَة والولاية والتَّأييد وطيب العيش في الدُّنْيا والآخرة، ولمخالفيه الذِّلَّة والصَّغار والخوف والضَّلال والخذلان والشَّقاء في الدُّنْيا والآخرة)(٢).

٤ - **اليقين بأنَّ دين الله قد كُتِب له العُلُوُّ والتَّمكين في الأرض، وأنَّ دولة الكافرين وعزَّتهم سائرة إلى زوال؛** لأنَّها بُنيت على باطل وسراب، فبهذا الاعتقاد يتولَّد عند المؤمن شعور بالعِزَّة، وإحساس بالشَّرَف والعُلُوِّ.

= ((مجمع الزوائد)) (١٧/٦): رجاله رجال الصَّحيح. وقال الألباني في ((تحذير الساجد)) (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

(١) روى البخاري نصفه الثَّاني معلقًا بصيغة التَّضعيف قبل حديث (٢٩١٤)، ورواه أحمد (٥٠/٢) (٥١١٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧٥/٢) (١١٩٩). قال ابن عبد البر في ((التمهيد)) (٧٦/١١): فيه أبو المنيب الجرشي ليس به بأس. وصحَّح إسناده الذَّهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (٥٠٩/١٥)، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٨١/٢)، وأحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٢٢/٧)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٥٢/٦): فيه عبد الرَّحمن بن ثابت، وبقية رجاله ثقات. وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (١١٦/٦): فيه أبو منيب، لا يعرف اسمه. وصحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٨٣١).

(٢) ((زاد المعاد)) (١/ ٣٩).

نماذج في العِزَّة:

- **نماذج في العِزَّة عند الصَّحابة رضي الله عنهم:**

عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر)[١].

- عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطَّاب إلى الشَّام، ومعنا أبو عبيدة بن الجرَّاح، فأتوا على مَخَاضَة[٢]، وعمر على ناقة له، فنزل عنها، وخلع خُفَّيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخَاضَة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، تخلع خُفَّيك، وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخَاضَة؟ ما يسرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: (أَوَّه[٣]، لم يقل ذا غيرك -أبا عبيدة- جعلته نكالًا لأمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم، إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العِزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله)[٤].

- قال الشَّعبي: كانت دِرَّة عمر رضي الله عنه أهيب من سيف الحجَّاج. ولما جيء بالهرمزان -ملك خوزستان- أسيرًا إلى عمر، لم يزل الموكَّل به يقتفي أثر عمر، حتى عَثَر عليه في المسجد نائمًا متوسِّدًا دِرَّته، فلمَّا رآه الهرمزان، قال: هذا هو الملك؟! والله إنِّي خدمت أربعة من الملوك الأكاسرة أصحاب التيجان،

---

(١) ((أخرجه البخاري)) (٣٦٨٤).

(٢) الخوض: المشي في الماء، والموضع مخاضة وهي ما جاز الناس فيها مشاة وركبانا. ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/ ١٤٧).

(٣) هي كلمة توجع وتحزن. ((شرح النووي على مسلم)) (١١/ ٢٢).

(٤) رواه الحاكم (١/ ١٣٠)، وصحَّحه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصَّحيحة)) (١/ ١١٧) على شرط الشيخين.

فما هِبْت أحدًا منهم كهيبتي لصاحب هذه الدِّرَّة[١].

أسامة بن زيد رضي الله عنه:

عن حكيم بن حزام، قال: كان محمَّد صلى الله عليه وسلم أحبَّ رجل من النَّاس إليَّ في الجاهليَّة، فلما نُبِّئ صلى الله عليه وسلم ، وخرج إلى المدينة، شهد حكيم المَوْسِم وهو كافر، فوجد حُلَّة لذي يزَن تُبَاع، فاشتراها ليهديها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقَدِم بها عليه المدينة، فأراده على قبضها هديَّةً، فأَبَى، فقال: إنَّا لا نقبل من المشركين شيئًا، ولكن إن شئت أخذتها منك بالثَّمن، فأعطيته إيَّاها حين أبى عليَّ الهديَّة، فلبسها، فرأيتها عليه على المنبر، فلم أر شيئًا أحسن منه يومئذ، ثمَّ أعطاها أسامة بن زيد، فرآها حكيم على أسامة، فقال: يا أسامة، أنت تلبس حُلَّة ذي يزَن؟! فقال: نعم، والله لأنا خير من ذي يزَن، ولأبي خير من أبيه. قال حكيم: فانطلقت إلى أهل مكَّة، أُعجِّبهم بقول أسامة[٢].

• نماذج من العِزَّة في حياة التَّابعين:

طاووس:

قدم هشام بن عبد الملك حاجًّا إلى مكَّة، فلما دخلها، قال: ائتوني برجل من الصَّحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين، قد تفانوا. قال: فمن التَّابعين، فأتوه بطاووس اليماني. فلما دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلِّم بإمرة

---

(١) ذكر أوله الثَّعالبي في ((الإعجاز والإيجاز)) (ص ٣٧)، وذكره -كاملاً- جار الله الزَّمخشري في ((ربيع الأبرار)) (١٣/٤).

(٢) رواه الطَّبراني (٢٠٢/٣) (٣١٢٥)، والحاكم (٥٥١/٣)، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٥٤/٤): إسناده رجاله ثقات.

أمير المؤمنين، ولكن قال: السَّلام عليك، ولم يُكَنِّه، ولكن جلس بإزائه. قال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضبًا شديدًا، حتى همَّ بقتله. فقيل له: أنت في حرم الله ورسوله، فلا يمكن ذلك. فقيل له: يا طاووس، ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟! فازداد هشام غضبًا، وقال: لقد خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تقبِّل يدي، ولم تسلِّم بإمرة أمير المؤمنين، ولم تكنِّني، وجلست بإزائي بغير إذني. وقلت: كيف أنت يا هشام؟ فقال: أمَّا ما خلعت نعلي بحاشية بساطك، فإنِّي أخلعهما بين يدي رب العِزَّة كلَّ يوم خمس مرَّات، فلا يعاتبني، ولا يغضب علي. وأما قولك: لم تقبِّل يدي. فإنِّي سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (لا يحلُّ لرجل أن يقبِّل يد أحد، إلَّا امرأته من شهوة أو ولده برحمة). وأما قولك: لم تسلِّم بإمرة أمير المؤمنين. فليس كلُّ النَّاس راضين بإمرتك، فكرهت أن أَكْذب. وأما قولك: جلست بإزائي؛ فإنِّي سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: (إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النَّار، فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام). وأما قولك: لم تكنِّني. فإنَّ الله عزَّ وجلَّ سمَّى أولياءه، وقال يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنَّى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] فقال هشام: عِظْني. فقال: سمعت أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه يقول: (إنَّ في جهنَّم حيَّات كأمثال القِلَال، وعقارب كالبغال، تلدغ كلَّ أمير لا يعدل في رعيَّته)، ثمَّ قام وذهب(١).

(١) ذكره ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) (٢/٥١٠).

• نماذج في العِزَّة عند العلماء المعاصرين:

عبد الحميد الجزائري:

استدعى المندوب السَّامي الفرنسي في سورية الشَّيخ عبد الحميد الجزائري، وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلَّا أرسلت جنودًا لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السُّموم ضدَّنا، وإخماد أصواتك المنكرة. فأجاب الشَّيخ عبد الحميد: أيُّها الحاكم، إنَّك لا تستطيع ذلك؟! واستشاط الحاكم غضبًا، وقال: كيف لا أستطيع؟ قال الشَّيخ: إذا كنتُ في عُرْسٍ علَّمتُ المحتفلين، وإذا كنتُ في مأتم وعظتُ المعزِّين، وإن جلستُ في قطار علَّمتُ المسافرين، وإن دخلتُ السِّجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين، وخير لك أيُّها الحاكم ألا تتعرَّض للأمَّة في دينها ولغتها[١].

قالوا عن العِزَّة..

- ذكر الماوردي قول بعض الأدباء، فقال: (إيَّاك وعزَّة الغضب، فإنَّها تُفْضِي إلى ذُلِّ العذر)[٢].

- وقيل في الحِكَم: (إذا أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى، فلا تستعزَّ بعزٍّ يفنى. العطاء من الخَلْق حرمان، والمنع من الله إحسان، جلَّ ربُّنا أن يعامل العبد نقدًا فيجازيه نسيئة، إنَّ الله حَكَم بحكم قبل خَلْق السَّماوات والأرض: أن لا يطيعه أحد إلَّا أعزَّه، ولا يعصيه أحد إلَّا أذلَّه، فرَبَط مع الطَّاعة العزَّ، ومع المعصية الذُّلَّ، كما رَبَط مع الإحراق النَّار، فمن لا طاعة له لا عزَّ له)[٣].

- وقال الحكيم: (الاعْتِزَاز بالعبيد منشؤه من حبِّ العزِّ وطلبه له، فإذا

---

(١) ((أقباس روحانية. نقلا من صلاح الأمة)) (٣/٢٧٧-٢٧٨) بتصرف.
(٢) ((أدب الدنيا والدين)) (ص ٢٥٩).
(٣) ((فيض القدير)) للمناوي (٦/٧٣).

طلب العزَّ للدُّنْيا، وطلبه من العبيد، تَرَك العمل بالحقِّ والقولَ به، لينال ذلك العزَّ، فيعزُّوه ويعظِّموه، وعاقبة أمره الذِّلَّة، وأنَّه سبحانه يُمْهِل المخْذول، وينتهي به إلى أن يستخفَّ لباس الذُّلِّ، فعندها يَلْبسه، إمَّا في الدُّنْيا، أو يوم خروجه فيها، فيخرجه من أذلِّ ذلَّة وأعنف عُنْف)[1].

- قيل في بعض الصُّحف الأولى: (العِزَّة والقوَّة يعظمان القلب، وأفضل منهما خوف الله تعالى؛ لأنَّ من لزم خشية الله، لم يخف الوَضِيعة، ولم يحتج إلى ناصر)[2].

- وقيل: (احذر دعوة المظْلوم وتوقَّها، ورِقَّ لها إن واجهك بها، ولا تبعثك العِزَّة على البطش، فتزداد ببطشك ظلمًا، وبعزَّتك بغيًا. وحسبك بمَنْصُور عليك، الله ناصره منك)[3].

- وقيل: (من غرس الزُّهد اجتنى العِزَّة)[4].

- وقال ابن المقفَّع: (من تعزَّز بالله لم يذلَّه سلطان، ومن توكَّل عليه لم يضرَّه إنسان)[5].

- وقال المنفلوطي: (جاء الإسلام بعقيدة التَّوحيد ليرفع نفوس المسلمين، ويغرس في قلوبهم الشَّرَف والعِزَّة والأَنَفَة والحَمِيَّة، وليعتق رقابهم من رقِّ العبوديَّة، فلا يَذِلُّ صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويَّهم، ولا يكون

---

(١) ((فيض القدير)) للمناوي (٦/٧٣).
(٢) ((نهاية الأرب)) للنويري (٦/ ١٠٧).
(٣) ((المصدر السابق)) (٦/ ١٤٠).
(٤) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) للأماسي (ص ٣٠).
(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٢٤٢).

لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحقِّ والعدل)[١].

العِزَّة في الأمثال:

- (لا تُقرع له عصا) يشير إلى معاني العِزَّة والمَنْعة التي يتَّصف بها الإنسان[٢].
- الموت في مقام العِزَّة خير من الحياة في الذُّلِّ[٣].
- ليست العِزَّة في حُسن البَزَّة[٤].
- قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في العِزَّة قولهم: (تمرَّد ماردٌ، وعزَّ الأَبْلَقُ)[٥].

(يضرب مثلًا للرجل العزيز المنيع الذي لا يقدر على اهتضامه. والمثل للزباء الملكة، ومارد حصن دومة الجندل، والأبلق حصن تيماء، وكانت الزباء أرادت هذين الحصنين فامتنعا عليها فقالت (تمرد مارد وعز الأبلق) وعزَّ أي: امتنع من الضيم)[٦].

العِزَّة في واحة الشِّعر:

قال المتنبِّي:

عِش عزيزًا أو مُتْ وأنت كريم ... بين طَعنِ القَنَا[٧] وخفق البنُودِ[٨]

---

(١) ((النظرات)) (١٨/٢).
(٢) ((مُعْجَم اللغة العربية المعاصرة)) (١٨٠١/٣).
(٣) ((مرزبان نامه)) (ص ١٢٠).
(٤) ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (ص ٢٨٤).
(٥) ((فصل المقال في شرح كتاب الأمثال)) لأبي عبيد البكري (ص ١٣٠).
(٦) ((جمهرة الأمثال)) لأبي عبيد (٢٥٧/١).
(٧) القنا: جمع قناة وهي الرمح. ((لسان العرب)) لابن منظور (٢٠٣/١٥).
(٨) ((الوساطة بين المتنبي وخصومه)) للجرجاني (٣٥١/١). والبنود: جمع بند وهو العلَم الكبير. ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/ ٩٧).

وقال آخر:

ستٌّ عيونٍ مَن تأتَّتْ له كانت له شافيةً كافية
العِلْمُ والعلياءُ والعفوُ والعِـ زَّةُ والعِفَّةُ والعافيـة[١]

وقال آخر:

لنا العِزَّة القَعْسَاءُ[٢] والعدد الذي عليه إذا عُدَّ الحصى يُتَحَلَّفُ[٣]

وقال آخر:

وإذا ما اعْتَرَتْك في الغَضَب العِزَّة فَاذْكُر تَذَلُّلَ الِاعْتِذَارِ[٤]

وقال عبد الصَّمد بن المعَذَّل:

إذا عزَّ يومًا أخو ك في بعض أمر فهُنْ[٥]

وقال الرَّبيع بن أبي الحُقَيق اليهودي:

إذا ماتَ منَّا سيِّدٌ قام بعده له خلَفٌ بادي السِّيادةِ بارعُ
من أبنائنا والغصن ينضُر فرعُهُ على أصله والعِرق للمرءِ نازعُ
وإنَّا لتغشانا الجدوبُ فما نُرى تُقَرِّبُنا للمُدنياتِ المطامعُ[٦]

(١) ((مجمع الحكم والأمثال)) أحمد قبش.
(٢) عزة قعساء: ثابتة. ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/ ١٧٧).
(٣) ((المعاني الكبير في أبيات المعاني)) لابن قتيبة الدينوري (١/٥٣٤). ويتحلف أي يحلف ما لأحد مثل عددنا.
(٤) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٥٩).
(٥) ((نهاية الأرب)) للنويري (٣/٩٠).
(٦) ((حماسة الخالديين)) لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (١/ ٣٦).

وقال قَطَرِيُّ بن الفُجَاءة مُظهرًا عزَّة نفسه:

أقولُ لها إذا جاشتْ حياءً ... من الأبطالِ ويحَك لن تُراعِي
فإنَّكِ لو طلبتِ حياةَ يومٍ ... على الأجلِ الذي لكِ لن تُطاعي
فصبرًا في مجال الموتِ صبرًا ... فما نَيْلُ الخلودِ بمُستطاعِ
وما ثوبُ الحياةِ بثوب عزٍّ ... فيُطوَى عن أخي الخَنَع اليَراعِ[١]
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ ... وداعِيه لأهل الأرض داعِي
ومَن لا يُعتبَطْ[٢] يهرَمْ ويسأَمْ ... ويُفْضِ به البقاءُ إلى انقطاعِ[٣]

وقال آخر:

ألا هل أتى الأقوام بَذْلي نصيحة ... حبوت بها منِّي سبيعًا وميثمًا[٤]
وقلت اعلما أنَّ التَّدابر غادرت ... عواقبه للذُّلِّ والقُلِّ جرهما
فلا تقدحا زَنْد العقوق[٥] وأبقيا ... على العِزَّة القَعْسَاء أن تتهدَّما[٦]

وقال النَّابغة الجعدي:

فإن كنتَ ترجو أن تحوِّل عزَّنا ... بكفَّيْك فانقل ذا المناكب يذبُلا
وإني لأرجو إن أردت انتقاله ... بكفَّيك أن يأتي عليك ويثقُلا[٧]

---

(١) الخنوع: الخضوع والذل. ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/٧٩).
(٢) من اعتبطه الموت إذا مات من غير علة. انظر: ((المصدر السابق)) (٧/٣٤٨).
(٣) سبيع وميثم: اسما رجلين. انظر: ((أمالي القالي)) (١/٩٢).
(٤) ((حماسة الخالديين)) لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (١/٤٦).
(٥) قدح الزند ضربه بحجره ليخرج النَّار مِنه. ((المعجم الوسيط)) (٢/ ٧١٧).
(٦) ((أمالي القالي)) (١/ ٩٣).
(٧) ((الشكوى والعتاب)) للثعالبي (١/٢٤٠).



العَزْم والعَزِيمَة



العَزْم والعَزِيمَة

معنى العزم والعزيمة لغةً واصطلاحًا:

• معنى العزم والعزيمة لغةً:

العزم: الصبر والجد، مصدر عَزَم على الأمر يَعْزِم عَزْمًا ومَعْزِمًا، وعُزْمانًا، وعَزِيمًا، وعَزِيمة. وعَزَمَه. والعَزْمُ الصبر في لغة هذيل. والعزيمة هي الحاجة التي قد عزمت على فعلها [1]. قال الطبري: (أصل العزم اعتقاد القلب على الشيء)[2].

• معنى العزم والعزيمة اصطلاحًا:

قال ابن عاشور في تعريف العزم: هو (إمضاء الرأي، وعدم التردد بعد تبين السداد)[3].

وقال الهروي: (العزم تحقيق القصد طوعًا أو كرهًا)[4].

وقال ابن الأثير: العزيمة (هي ما وكدت رأيك وعزمك عليه، ووفيت بعهد الله فيه)[5].

الفرق بين العزم والحزم والنية:

الفرق بين العزم والحزم:

في العزم والحزم وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما.

---

(١) انظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٢/٩١)، ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (١/٥٣٣)، ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣/٢٣١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٣٩٩).

(٢) ((تفسير الطبري)) (١٨ / ٣٨٥).

(٣) ((التحرير والتنوير)) (٤/١٩٠).

(٤) ((منازل السائرين)) (١/٦٥).

(٥) ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) (٣/٢٣١).

الثاني: معناهما مختلف:

الحزم والعزم أصلان، وما قاله المبرد من أن العين قلبت حاء ليس بشيء، لاطراد تصاريف كل واحد من اللفظين، فليس أحدهما أصلًا للآخر.

وفي اختلافهما وجهان:

- الحزم جودة النظر في الأمر، ونتيجته الحذر من الخطأ فيه. والعزم قصد الإمضاء، وعليه فالحزم الحذر والعزم القوة، ومنه المثل: لا خير في عزم بغير حزم.

الثاني: أن الحزم التأهب للأمر والعزم النفاذ فيه، ومنه قولهم في بعض الأمثال: رَوِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم[1].

الفرق بين العزم والنية:

(الصلة بين النية والعزم: أنهما مرحلتان من مراحل الإرادة، والعزم اسم للمتقدم على الفعل، والنية اسم للمقترن بالفعل مع دخوله تحت العلم بالمنوي)[2].

الترغيب في العزم والعزيمة على فعل الخير:

أولًا: في القرآن الكريم

العزم على فعل الخير وعدم التردد والمسارعة لفعل الخيرات من شيم الصالحين، والعزيمة هي الدافع لفعل الخير، ولهذا حثَّ الله عليها في كتابه في غير آية ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ

---

(١) انظر: ((تفسير النكت والعيون)) للماوردي (٢/٢١٤)، و((البحر المحيط)) لأبي حيان الأندلسي (٣/٤٦٤).

(٢) ((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (٤٢/٦٠).

لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ابن جرير الطبري: (أما قوله: فإذا عزمت فتوكل على الله. فإنه يعني: فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك، أو خالفها، وتوكل فيما تأتي من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك، فثق به في كل ذلك، وارض بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم، فإنَّ الله يحبُّ المتوكلين، وهم الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه)[١].

وقال الجصاص: (في ذكر العزيمة عقيب المشاورة دلالة على أنها صدرت عن المشورة، وأنه لم يكن فيها نص قبلها)[٢].

وقال البخاري: (فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله)[٣].

- وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

قال الشوكاني في قوله: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: (مما يجب عليكم أن تعزموا عليه؛ لكونه عزمة من عزمات الله التي أوجب عليهم القيام بها)[٤].

---

(١) ((تفسير الطبري)) (٧/٣٤٣).
(٢) ((أحكام القرآن)) (٢/٣٣١).
(٣) ((صحيح البخاري))، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى ٣٨] (٦/٢٦٨١).
(٤) ((فتح القدير)) (١/٤٦٨).

وقال الرازي: (من صواب التدبير الذي لا شكَّ في ظهور الرشد فيه، وهو مما ينبغي لكل عاقل أن يعزم عليه، فتأخذ نفسه لا محالة به... ولا يجوز ذلك الترخص في تركه، فما كان من الأمور حميد العاقبة معروفًا بالرشد والصواب، فهو من عزم الأمور؛ لأنه مما لا يجوز لعاقل أن يترخص في تركه)[1].

وقال ابن عاشور: (وإن تصبروا وتتقوا تنالوا ثواب أهل العزم؛ فإن ذلك من عزم الأمور)[2].

- وقوله تعالى: ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

قال أبو حيان الأندلسي: (العزم مصدر، فاحتمل أن يراد به المفعول، أي من معزوم الأمور، واحتمل أن يراد به الفاعل، أي عازم الأمور)[3].

قال القرطبي: (إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور، أي مما عزمه الله وأمر به قاله ابن جريج، ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق، وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة، وقول ابن جريج أصوب)[4].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

قال الماوردي: (يحتمل قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ وجهين:

(١) ((تفسير الرازي)) (٩/٤٥٥).
(٢) ((التحرير والتنوير)) (٤/١٩٠).
(٣) ((البحر المحيط)) (٨/٤١٥).
(٤) ((تفسير القرطبي)) (١٤/٦٩).

أحدهما: لمن عزائم الله التي أمر بها.

الثاني: لمن عزائم الصواب التي وفق لها)(١).

وقال ابن كثير: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة، التي عليها ثواب جزيل، وثناء جميل)(٢).

وقال السعدي: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (أي: لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يُوفَّق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر)(٣).

وقال الواحدي: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ (أي: الصبر والغفران ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾؛ لأنَّه يوجب الثواب، فهو أتمُّ عزم)(٤).

- وقوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾. قال: ((إذا جدَّ الأمر)). وقال قتادة: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ يقول: طواعية الله ورسوله، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم)(٥).

قال الرازي: (جوابه -أي جواب إذا- محذوف تقديره ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ خالفوا وتخلفوا، وهو مناسب لمعنى قراءة أُبيٍّ، كأنه يقول في أول الأمر قالوا

(١) ((تفسير النكت والعيون)) (٥/٢٠٩).
(٢) ((تفسير ابن كثير)) (٧/٢١٣).
(٣) ((تيسير الكريم الرحمن)) (١/٧٦٠).
(٤) ((الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) (ص ٩٦٧).
(٥) انظر: ((تفسير الطبري)) (٢٢/١٧٦-١٧٧).

سمعًا وطاعة، وعند آخر الأمر خالفوا وأخلفوا موعدهم، ونسب العزم إلى الأمر والعزم لصاحب الأمر معناه: فإذا عزم صاحب الأمر. هذا قول الزمخشري، ويحتمل أن يقال هو مجاز، كقولنا: جاء الأمر وولى، فإنَّ الأمر في الأول يتوقع أن لا يقع، وعند إظلاله وعجز الكاره عن إبطاله فهو واقع فقال ﴿عَزَمَ﴾، والوجهان متقاربان)(١).

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

قال ابن الجوزي: (قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال.

أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أُمِر به.

والثاني: صبرًا، قاله قتادة ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عما نُهي عنه.

والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخرج آدم من أولي العزم. وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب.

والرابع: عزمًا في العَوْد إلى الذَّنْب)(٢).

وقال الرازي: (قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ يحتمل ولم نجد له عزمًا على القيام على المعصية، فيكون إلى المدح أقرب، ويحتمل أن يكون المراد ولم نجد له عزمًا على ترك المعصية، أو لم نجد له عزمًا على التحفظ والاحتراز عن الغفلة، أو لم نجد له عزمًا على الاحتياط في كيفية الاجتهاد؛ إذا قلنا: إنه عليه السلام إنما أخطأ بالاجتهاد)(٣).

(١) ((مفاتيح الغيب)) (٢٨/٥٣-٥٤).
(٢) ((زاد المسير)) (٣/١٧٩).
(٣) ((مفاتيح الغيب)) (٢٢/١٠٦).

ورجح ابن جرير الطبري أن تأويل ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ هو (لم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه)[١].

وقال ابن عاشور: (واستعمل نفي وجدان العزم عند آدم في معنى عدم وجود العزم من صفته فيما عهد إليه؛ تمثيلًا لحال طلب حصوله عنده بحال الباحث على عزمه، فلم يجده عنده بعد البحث)[٢].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يقولنَّ أحدكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم في الدعاء؛ فإنَّ الله صانع ما شاء لا مكره له))[٣].

قال النووي: (عزم المسألة: الشدة في طلبها، والحزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها)[٤].

وقال ابن حجر: (قوله: ((فليعزم المسألة)). في رواية أحمد عن إسماعيل المذكور الدعاء، ومعنى الأمر بالعزم الجد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه، ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى، وإن كان مأمورًا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى، وقيل معنى العزم: أن يحسن الظن بالله في الإجابة... وقال الداودي: معنى قوله ليعزم المسألة أن يجتهد ويلح، ولا يقل إن شئت كالمستثنى، ولكن دعاء البائس الفقير)[٥].

---

(١) ((تفسير الطبري)) (١٨- ٣٨٣- ٣٨٥).
(٢) ((التحرير والتنوير)) (١/ ٢٦٧٧).
(٣) رواه البخاري (٦٣٣٩) ومسلم (٢٦٧٩).
(٤) ((شرح النووي على مسلم)) (١٧/ ٧).
(٥) ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) (١١/١٤٠).

قال بدر الدين العيني: (قوله: فليعزم المسألة. أي: فليقطع بالسؤال، ولا يعلق بالمشيئة؛ إذ في التعليق صورة الاستغناء عن المطلوب منه والمطلوب)(١).

وقال السيوطي: (ليعزم المسألة أي يعري دعاءه وسؤاله من لفظ المشيئة)(٢).

- و(عن ابن مسعود، قال: لقد سألني رجل عن أمر ما دريت ما أردُّ عليه، فقال: أرأيت رجلًا مؤديًا نشيطًا يخرج مع أمرائنا في المغازي، فيعزم علينا في أشياء لا نحصيها؟ فقلت له: والله ما أدري ما أقول لك، إلا أنا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فعسى أن لا يعزم علينا في أمر إلا مرة حتى نفعله، وإنَّ أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله، وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلًا فشفاه منه، وأوشك أن لا تجدوه، والذي لا إله إلا هو ما أذكر ما غبر من الدنيا إلا كالثغب(٣) شرب صفوه، وبقي كدره)(٤).

قال بدر الدين العيني: (قوله: فيعزم علينا. أي: الأمير يشدد علينا في أشياء لا نطيقها، وقال الكرماني: فيعزم إن كان بلفظ المجهول فهو ظاهر يعني لا يحتاج إلى تقدير الفاعل ظاهرًا، هذا إن كان جاءت به رواية، قوله: حتى نفعله غايةً لقوله: لا يعزم. أو للعزم الذي يتعلق به المستثنى)(٥).

- وعن جماعة من الصحابة مرفوعًا (إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه

---

(١) ((عمدة القاري)) (٢٢/٢٩٩).

(٢) ((تنوير الحوالك)) (١/٢٢١).

(٣) الثغب: -بالفتح والسكون-: الموضع المطمئن في أعلى الجبل يستنقع فيه ماء المطر. وقيل: هو غدير في غلظ من الأرض أو على صخرة ويكون قليلًا. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/٦١٣).

(٤) رواه البخاري (٢٩٦٤).

(٥) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) (٢٢/٢٩٩).

كما يحب أن تؤتى عزائمه)[١].

قال المناوي: (عزائمه أي مطلوباته الواجبة، فإنَّ أمر الله في الرخص والعزائم واحد)[٢].

قال القاري: (الرخصة إذا كانت حسنًا فالعزيمة أولى بذلك)[٣].

- وعن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه قال: ((إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم))[٤].

قال المناوي: (... ((وأسألك عزيمة الرشد)) وفي رواية: ((العزيمة على

---

(١) رواه ابن حبان (٢/٦٩) (٣٥٤)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٦/٢٧٦)، والضياء في ((المختارة)) (١٢/٢٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن حبان (٨/٣٣٣) (٣٥٦٨)، والبزار (١٢/٢٥٠)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٣/٢٠٠) (٥٤١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في ((الكبير)) (١٠/٨٤)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٢/١٠١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبراني في ((الأوسط)) (٨/٨٢)، والقضاعي في ((مسنده)) (٢/١٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها. وحسن المنذري إسناد البزار في ((الترغيب والترهيب)) (٢/٨٨)، وجوَّد النووي إسناد البيهقي في ((الخلاصة)) (٢/٧٢٩)، وقال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (١/٣٨٨) في إسناد ابن عباس: هذا إسناد رجاله ثقات. وصحح الحديث الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٨٨٥).

(٢) ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) (١/٥٤٧).

(٣) ((مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للمباركفوري (٢٠٤٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤). قال ابن رجب في ((جزء من الكلام على حديث إذا كنز الناس)) (١/٣٣٥): له طرق متعددة، وقال ابن حجر في ((نتائج الأفكار)) (٣/٦٧): رجاله من رواة الصحيح، إلا في سماع حسان بن عطية من شداد نظر وله طرق يقوي بعضها بعضًا يمتنع معها إطلاق القول بضعف الحديث، وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٢/٣٣٢): رجال إسناده ثقات، وصحح إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٣٢٢٨).

الرشد))، قال الحرالي: وهو حسن التصرف في الأمر، والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم)[١].

من أقوال العلماء في العزم والعزيمة:

- قال ابن منظور: (لا خير في عزم بغير حزم، فإنَّ القوة إذا لم يكن معها حذر أورطت صاحبها)[٢].

- وقال فخر الدين الرازي: (منصب النبوة والإمامة لا يليق بالفاسقين؛ لأنَّه لا بد في الإمامة والنبوة من قوة العزم، والصبر على ضروب المحنة حتى يؤدي عن الله أمره ونهيه، ولا تأخذه في الدين لومة لائم، وسطوة جبار)[٣].

- وقال الغزالي: (التقوى في قول شيوخنا: تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله، حتى يحصل للعبد من قوة العزم على تركه وقاية بينه وبين المعاصي)[٤].

- وقال ابن الجوزي: (ليس في سياط التأديب أجود من سوط العزم)[٥].

فوائد العزم والعزيمة:

١- مظنة قبول الدعاء:

فقوة العزم والجزم في الدعاء، وعدم تعليقه بالمشيئة من آداب الدعاء وأرجى للقبول.

٢- قوة العزم والعزيمة من وسائل تهذيب النفس، وتحصيل الأخلاق الفاضلة:

قال ابن قدامة: (وأشدُّ حاجة الرائض لنفسه، قوة العزم، فمتى كان مترددًا

---

(١) ((فيض القدير)) (٢/١٦٥).
(٢) ((لسان العرب)) (١٢/٣٩٩).
(٣) ((تفسير الرازي)) (٤/٤٩).
(٤) ((بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)) للفيروز آبادي (٥/٢٥٧).
(٥) ((صيد الخاطر)) (٦٧).

بعد فلاحه، ومتى أحس من نفسه ضعف العزم تصبر، فإذا انقضت عزيمتها عاقبها لئلا تعاود، كما قال رجل لنفسه: تتكلمين فيما لا يعنيك؟! لأعاقبنك بصوم سنة)[1]. ومن صفات المؤمن القوي قوة العزم على الأمر.

٣- قوة العزم والعزيمة تعين على تحقيق التقوى:

وذلك بحمل النفس على فعل المأمورات وترك المنهيات وهذه هي حقيقة التقوى قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٤- قوة العزم والعزيمة تعين على ترك المعاصي.

٥- العزم والعزيمة من وسائل التخلص من تلبيس الشيطان ووسوسته:

لأنه إذا كانت مهمة الشيطان هي الوسوسة، ومقصده منها (التشكيك والذبذبة والتردد، فإن عمومات التكليف تلزم المسلم بالعزم واليقين والمضي دون تردد، كما في قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وامتدح بعض الرسل بالعزم وأمر بالاقتداء بهم ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]... فمن هذا كله كانت دوافع العزيمة مستقاة من التكاليف، مما يقضي على نوازع الشك والتردد، ولم يبق في قلب المؤمن مجال لشك ولا محل لوسوسة)[2].

---

(١) ((مختصر منهاج القاصدين)) لابن قدامة المقدسي (٢٠١).

(٢) ((أضواء البيان)) للشنقيطي، تكملة عطية سالم (٩/١٨٩).

٦- العزم على ترك الذنب من شروط قبول التوبة:

فالتوبة واجبة من كل ذنب ولها ثلاثة شروط:ومنها العزم على عدم العودة للذنب أبدًا[١].

قال أبو حازم: (عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمَّه الفتوح)[٢].

٧- قوة العزم والعزيمة من علامات التوفيق:

قال ابن القيم: (الدين مداره على أصلين العزم والثبات، وهما الأصلان المذكوران في (الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد))[٣]. وأصل الشكر: صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أُيِّد العبد بعزيمة وثبات فقد أُيِّد بالمعونة والتوفيق)[٤].

٨- قوة العزم والعزيمة تحصل للمرء كل مقام شريف ومنزلة رفيعة:

قال ابن القيم: (فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص ،ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضمَّ الثبات إلى العزيمة أثمر كلَّ مقام شريف وحال كامل، ولهذا في دعاء النبي الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه: ((اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد))[٥] ومعلوم أن شجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على ساق الصبر)[٦].

---

(١) انظر: ((رياض الصالحين)) للنووي (٢٢/١).
(٢) ((حلية الأولياء)) لأبي نُعيم الأصبهاني (٢٣٠/٣).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) ((عدة الصابرين)) (٩٠/١).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) ((طريق الهجرتين)) (١/ ٤٠١).

٩- صاحب العزم والعزيمة القوية الصادقة أكثر الناس صبرًا على البلاء.

١٠- قوة العزم من صفات الأنبياء والمرسلين والصالحين:

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

موانع اكتساب صفة العزم والعزيمة:

١- مرض القلب وضعف النفس وانهزامها:

إذا فقد القلب عزمه خارت قوى الجسد مهما كان قويًّا، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧]، فإنَّ ضعف العزيمة من ضعف حياة القلب، وهي دليل على حياته، وعلى مرضه أو موته.

٢- العجز والكسل:

فالعجز والكسل (هما العائقان اللذان أكثر الرسول من التعوذ بالله سبحانه منهما[(١)]، وقد يعذر العاجز لعدم قدرته، بخلاف الكسول الذي يتثاقل ويتراخى مما ينبغي مع القدرة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦][(٢)].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ))[(٣)].

(١) كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال)) رواه البخاري (٢٨٩٣).
(٢) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (٣٣٦).
(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

٤- التسويف والتمني وترك الأخذ بالأسباب:

(وهما صفة بليد الحس عديم المبالاة، الذي كلما همت نفسه بخير- وعزمت عليه- إما يعيقها بـ(سوف) حتى يفجأه الموت ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، وإما يركب بها بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه مفاليس العالم ...وما أحسن ما قال أبو تمام:

من كان مرعى عزمه وهمومه   روض الأماني لم يزل مهزولا)[(١)]

٥- الخوف من الفشل:

إن الخوف الدائم من الفشل، وتوقع انتقاد الآخرين، من العوامل المؤثرة في ضعف عزيمة النفس، فالمطلوب هو أن تقاوم الخوف، وتتأسى بأصحاب العزم الصادق الذين قال الله تعالى عن عزمهم، وقوتهم في مواجهة الحياة، وحسن توكلهم عليه سبحانه في تقوية عزائمهم على مواجهة الصعوبات ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤] واعلم أن عليك أن تسعى وتأخذ بالأسباب، وليس عليك تحصيل النتائج قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٦- التردد وعدم وضوح الأهداف:

(إن الإسلام يكره لك أن تكون مترددًا في أمورك، تحار في اختيار أصوبها

---

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (٣٣٨-٣٣٩) بتصرف. وانظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/٤٥٧).

وأسلمها، وتكثر الهواجس في رأسك؛ فتخلق أمامك جوًّا من الريبة والتوجس، فلا تدري كيف تفعل، وتضعف قبضتك في الإمساك بما ينفعك فيفلت منك، ثم يذهب سدى)[1]، ولهذا شرع لنا الله سبحانه مشاورة أهل الرأي والخبرة من أهل الصلاح قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣]، وشرع لنا الرسول الاستخارة[2]، إعانة للمرء على بلوغ الصواب، وبعد المشاورة يكون التنفيذ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٧- سوء الظن بالله، واليأس، وفقدان الأمل، والنظرة التشاؤمية للحياة:

إن فقدان الأمل يقعد الإنسان عن طلب المعالي؛ ليأسه وحكمه على المستقبل بما يعيشه من واقع أليم، وإنَّ (عمل الشيطان هو تشييع الماضي بالنحيب والإعوال، هو ما يلقيه في النفس من أسى وقنوط على ما فات، إن الرجل لا يلتفت وراءه إلا بمقدار ما ينتفع به في حاضره ومستقبله، أما الوقوف مع هزائم الأمس، واستعادة أحزانها، والتعثر في عقابيلها وتكرار لو، وليت، فليس ذلك من خلق المسلم... قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦])[3].

وانظر لنبي الله يعقوب؛ لم يمنعه طول الزمان بعد فقدانه ليوسف في الأمل في الله أن يعيده له، بل ازداد أمله بعد حبس ابنه الثاني بمصر فقال لأولاده

(١) ((خلق المسلم)) لمحمد الغزالي (٨٨).

(٢) البخاري برقم (١١٠٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ((خلق المسلم)) لمحمد الغزالي (٨٩).

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

٨- قلة الصبر، وعدم الثبات، واستطالة الطريق، واستعجال النتائج:

قلة الصبر وعدم الثبات تحرم الإنسان من بلوغ أي هدف، وتحقيق أي كمال، وما أخرج آدم عليه الصلاة والسلام من جنة الخلد، وجوار الرحمن، والعيش الهني، والمسكن الطيب إلى شقاء الدنيا، وتعبها، وهمومها إلا قلة الصبر عما نهاه الله عنه، وعدم الثبات على ما أمر به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾ [طه: ١١٥][١].

٩- الفتور والغفلة:

الفتور والغفلة هما رأس البلاء، ومكمن الداء، وإن كان (لابد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة ولكن كن خفيف النوم)[٢] فلا يعني ذلك ترك الواجبات وفعل المحرمات، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إن لكل عمل شِرَّة[٣]، ولكل شِرَّة فَتْرَة[٤] فمن كانت شِرَّتُهُ إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك))[٥].

ومن مظاهر ذلك:

---

(١) راجع أقوال المفسرين حول هذه الآية من هذا البحث.

(٢) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص ٣٣٧).

(٣) الشرة: النشاط والرغبة. ((النهاية في غريب الأثر)) (٦١٣/١).

(٤) فترة: فتر الشيء يفتر ويفتر فتورا وفتارا سكن بعد حدة ولان بعد شدة وفتر هو والفتر الضعف. ((عمدة القاري)) للعيني (٥٣/١).

(٥) رواه أحمد (٢١٠/٢) (٦٩٥٨)، وابن حبان (١٨٧/١) (١١)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٥٩/١١). وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢١٥٢)، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٨١٠) على شرط الشيخين.

- (تضييع الوقت وعدم الإفادة منه، وتزجيته بما لا يعود بالنفع، وتقديم غير المهم على المهم، والشعور بالفراغ الروحي والوقتي وعدم البركة في الأوقات، وعدم إنجاز شيء من العمل مع طول الزمن.

- عدم الاستعداد للالتزام بشيء، والتهرب من كل عمل جدي.

- الفوضوية في العمل: فلا هدف محدد، ولا عمل متقن، الأعمال ارتجالية، التنقل بين الأعمال بغير داع.

- خداع النفس؛ بالانشغال مع الفراغ، وبالعمل وهي عاطلة، الانشغال بجزئيات لا قيمة لها ولا أثر يذكر، ليس لها أصل في الكتاب أو السنة، وإنما هي أعمال تافهة ومشاريع وهمية لا تسمن ولا تغني من جوع.

- النقد لكل عمل إيجابي؛ تنصلًا من المشاركة والعمل، وتضخيم الأخطاء والسلبيات؛ تبريرًا لعجزه وفتوره، تراه يبحث عن المعاذير، ويصطنع الأسباب؛ للتخلص والفرار ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾. [التوبة: ٨١].)[١].

الوسائل المعينة على تقوية العزم والعزيمة:

١- التوكل على الله وحسن الظن به سبحانه في الوصول للهدف:

أرشدنا الله سبحانه لهذا بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وإن من آثار عقيدة التوحيد في نفس المؤمن قوة العزم والصبر والثبات لعلمه أن الله معه وأنه مؤيده وناصره، فهو يردد قول الله تعالى: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] التي

---

(١) انظر: ((الفتور)) لناصر العمر (١٩-٢٠).

قالها إبراهيم عندما أُريد إلقاؤه في النار، ومحمد صلى الله عليه وسلم عندما خوِّف بصناديد المشركين، وقول هود عليه السلام لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٥٥-٥٦][(١)].

٢- الدعاء:

فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم ((اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد)).

٣- الاقتداء بأصحاب العزائم من أهل الصلاح والدين:

قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى في الاقتداء بالصالحين ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

٤- مصاحبة أهل العزائم القوية، والهمم العالية:

فالمرء على دين خليله، قال ابن تيمية: (الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض)[(٢)]، وقال لقمان الحكيم لابنه: (من يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم، يا بني كن عبدًا للأخيار، ولا تكن خليلًا للأشرار)[(٣)].

أحبُّ الصالحين ولست منهم　لعلي أن أنال بهم شفاعة

---

(١) انظر: ((مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة))، العدد ٣٢ توحيد الله (٣٦/١٢).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (١٥٠/٢٨).

(٣) ((بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز)) للفيروز آبادي (٩١/٦).

وأكره من تجارته المعاصي   وإن كنا سواء في البضاعة[1]

٥- المسارعة في التنفيذ، وعدم التردد بعد عقد العزم على العمل:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١].

٦- أخذ الأمور بجدية:

الجدية في الحياة كلها، وإلزام النفس بما يراد تحقيقه طريق الناجحين في حياتهم، ومن جدَّ وجدَ، ومن زرع حصد، قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣].

٧- عدم الاتكال على الحسب والنسب:

والقاعدة الإسلامية لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا يستوي العا لم والجاهل، ولا المؤمن والكافر، ولا المجتهد والكسول، ولا القوي والضعيف.

قال المتنبي:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي

ولسنا وإن أحسابنا كرمت   يومًا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا   تبني ونفعل مثل ما فعلوا

إذا ما المرء لم يبن افتخارًا لنفسه   تضايق عنه ما بنته جدوده[2]

---

(١) ((ديوان الإمام الشافعي)) (ص ٧٤).

(٢) ((العود الهندي مجالس أدبية في ديوان المتنبي)) لعبد الرحمن السقاف، (٢/٣٦٧-٣٧٤-٣٨٨).

٨- الرغبة الصادقة في تقوية العزم والعزيمة:

وهذا يشمل خطوات:

- تغيير العادات السلبية إلى أخرى إيجابية:

السعي الحثيث لرفع العزيمة وتقويتها يبدأ بالرغبة في إصلاح مواطن الضعف في النفس، والصدق في تحويلها لمواطن قوة، ولهذا فلم تمنع قاتل التسعة والتسعين نفسًا آثامه من السعي للتغيير، بل ولما أكمل المائة ما زال عازمًا على التوبة، فبحث وسأل، بل وترك ما يحبُّ من أهل ووطن في سبيل ما يرجو، حتى كانت العاقبة مغفرة الله ورضوانه(١).

- تحديد الهدف المراد تحقيقه ووضوحه.

- معرفة فائدة العمل في حياتك الدينية والدنيوية.

فمعرفة فائدة العمل تعين على تحمل مشاق العمل، ولهذا جاءت الشريعة بالترغيب في العمل الصالح، والترهيب من المعاصي، وذمِّ البطالة والكسل.

- وضع أهداف قصيرة المدى.

- مكافأة النفس بعد كل عمل تنجزه، والمكافأة بقدر العمل.

- محاسبة النفس على التقصير، ومعاقبتها بترك بعض ما تحب.

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله، فقال له هل من توبة قال لا. فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا. فأدركه الموت فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي. وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي. وقال قيسوا ما بينهما. فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له).

نماذج من قوة العزم والعزيمة:

- **نماذج من عزم الأنبياء والمرسلين:**

لقد نال الأنبياء والمرسلين من قومهم الأذى الشديد، ولكنهم صبروا مما لقوه من المكاره وواصلوا مهمتهم بالعزم والإصرار، وقد أشاد القرآن بعزمهم الصادق في قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأولو العزم من الرسل هم الذين صبروا وجدوا في سبيل دعوتهم[١].

نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام والعزم على طلب العلم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

(يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لخادمه لا أزال مسافرًا وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدًا من عباد الله العالِمين، عنده من العلم ما ليس عندك، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: مسافة طويلة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه) [٢]، ولم يمنعه من الاستمرار في رحلته قوله ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ أي تعبًا، وكذلك لم يثنِ عزمه صلى الله عليه وسلم أنهم أخطؤوا الطريق ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٤-٦٦].

---

(١) ((المعجم الوسيط)) (٢/٥٩٩).

(٢) انظر: ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (٤٨٠-٤٨١).

وسبب رحلة نبي الله موسى لطلب العلم أنه (بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل؛ جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله عز وجل إلى موسى: بلى، عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه)[١].

نماذج من عزم النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة:

لقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل تبليغه للرسالة أشد الأذى والمحن، فصبر، مع عزم لا يلين، ممتثلًا لأمر الله عز وجل له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقد تجلت عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم في مثابرته وجهاده ودعوته إلى الله عز وجل.

قال ابن جرير الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبته على المضي لما قلده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد)[٢].

وقال ابن عجيبة: (فإنك من جملتهم، بل من أكملهم وأفضلهم)[٣].

والنماذج في تحمل النبي صلى الله عليه وسلم مشاق الدعوة وقوة عزيمته كثيرة، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ((يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال صلى

(١) رواه البخاري (٧٤).
(٢) ((تفسير الطبري)) (٢٢/ ١٤٥)، وانظر: ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (٧٨٣/١).
(٣) ((تفسير البحر المديد)) لابن عجيبة (٤٩/٦).

الله عليه وسلم: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال: فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئًا))[١].

• نماذج من عزم الصحابة رضي الله عنهم:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم[٢] على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنَّه قد هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه؛ فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة،

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) واتاهم: أتت أتوا وآتاه على الأمر طاوعه والمؤاتاة حسن المطاوعة وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته.. ولا تقل واتيته إلا في لغة لأهل اليمن. ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/٥٨٨).

وهو يقول: أحد أحد)[١].

قال السيوطي: (قد وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقية، والتقية في مثل هذه الحال جائزة، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، والصبر على أذاهم مستحب، وقد علموا على الرخصة، وعمل بلال على العزيمة)[٢].

قال ابن الجوزي: (ولولا جدُّ أنس بن النضر في ترك هواه، وقد سمعت من أثر عزمته: لئن أشهدني الله مشهدًا ليرينَّ الله ما أصنع. فأقبل يوم أحد يقاتل حتى قتل، فلم يعرف إلا ببنانه، فلولا هذا العزم ما كان انبساط وجهه يوم حلف، والله لا تكسر سنُّ الربيع)[٣].

– عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود قال: ((إني والله ما آمن يهود على كتاب)). قال: فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم)[٤].

– أرسل يزدجرد كسرى فارس إلى ملك الصين يطلب المدد لمحاربة المسلمين الذين استولوا على بلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرسل ملك الصين يعتذر عن نجدته بقوله: (إنه لم يمنعني أن أبعث إليك

(١) رواه ابن ماجه (١٥٠)، وابن حبان (١٥/٥٥٨) (٧٠٨٣). حسنه الألباني في ((صحيح ابن ماجه))، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (٨٩٨).
(٢) ((شرح سنن ابن ماجة)) (١/١٤).
(٣) ((صيد الخاطر)) (١٣٩).
(٤) رواه أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥)، وأحمد (٥/١٨٦) (٢١٦٥٨). قال الترمذي حسن صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلي سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة، ولا تهجهم ما لم يهيجوك)[١].

– في (سنة سبع وثمانين وأربعمائة في شهر ربيع، وقيل في جمادى الأولى، أمير الجيوش: أبو النجم بدر الجمالي كان مملوكًا أرمنيًّا لجمال الدولة بن عمار؛ فلذلك عرف: بالجمال، وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره، ويوطن نفسه على قوة العزم، وينتقل في الخدم، حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر)[٢].

أمثال في العزم والعزيمة:

– قوة العزم تذيب الحجرا[٣].

– رَوِّ بحزم، فإذا استوضحت فاعزم[٤].

(ومعنى المثل أنَّ من حزم الإنسان أن يتروى في الأمر، ويتفكر في مجاريه وعواقبه، إذا أراد أن يأتيه، حتى إذا تبين له أنَّه محمود فليقدم عليه بعزم، ولا يتوانَ فيه حتى يدرك فتور فيتعطل)[٥].

– قد أحزم لو أعزم[٦].

---

(١) ((تاريخ الأمم والملوك)) لابن جرير الطبري (٢/ ٥٤٩).
(٢) ((المواعظ والاعتبار)) للمقريزي (٢/٢١٤).
(٣) ((دواوين الشعر العربي على مر العصور)) (٢٠١/٨٧).
(٤) ((تفسير النكت والعيون)) للماوردي (٣٣٢/٤).
(٥) ((زهر الأكم في الأمثال والحكم)) للحسن بن مسعود (٧١/٣).
(٦) ((البحر المحيط)) لأبي حيان الأندلسي (٤٦٤/٣).

العزم والعزيمة في واحة الشعر:

إذا هَمَّ ألقَى بين عينيه عزمَه ... ونَكَّب[١] عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشِرْ في أمره غيرَ نفسه ... ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا[٢]

قال امرؤ القيس:

ولو أنَّما أسعَى لأدَنى معيشةٍ ... كفاني- ولم أطلبْ- قليلٌ من المالِ
ولكنَّما أسعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ[٣] ... وقد يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالي[٤]

وقال أبودُلَف:

وليس فراغُ القلبِ مجدًا ورفعةً ... ولكنَّ شغلَ القلبِ للمرءِ رافعُ[٥]

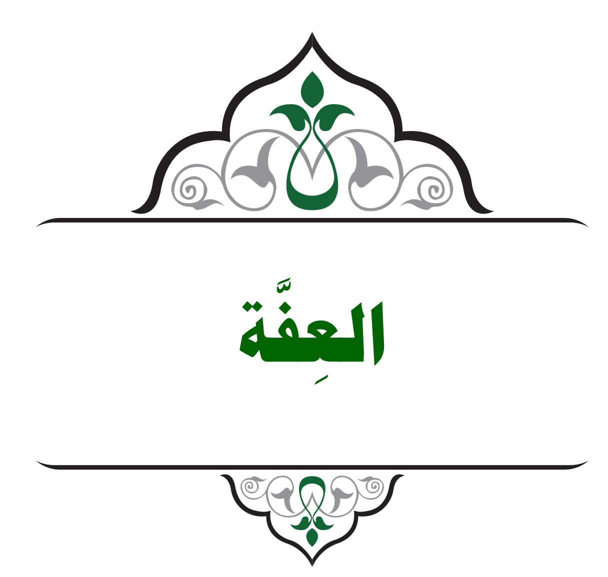
قال المتنبي:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومٍ[٦] ... فلا تقنعْ بما دونَ النُّجومِ
فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ[٧]

وقال أيضًا:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ[٨]

(١) نكَّب: نَكَبَ عن الشيءِ وعن الطريق يَنْكُب نَكْبًا ونُكُوبًا ونَكِبَ نَكَبًا ونَكَّبَ وتَنَكَّبَ عَدَلَ. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٧٧٠).
(٢) ((تفسير التحرير والتنوير)) لابن عاشور (٤/ ١٥١).
(٣) مؤثل: أي قديم واثلة الشيء أصله. ((شرح النووي على مسلم)) (١١/ ٨٦).
(٤) ((العود الهندي مجالس أدبية في ديوان المتنبي)) لعبد الرحمن السقاف (٣/ ١٢، ٩).
(٥) ((الرسائل)) للجاحظ (٢/ ٣٥٣).
(٦) مروم: رام الشيء يَرومُهُ رَوْمًا ومَرامًا طلبه. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/ ٢٥٨).
(٧) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (١/ ٥٢٤).
(٨) ((ديوان أبي الطيب المتنبي)) (ص ٣٨٥).



العِفَّة

العفة

معنى العفة لغةً واصطلاحًا:

- **معنى العفة لغةً:**

مصدر عفَّ يقال: عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، فهو عَفٌّ وعَفِيفٌ والمرأة عَفَّةٌ وعَفِيفَةٌ وأعَفَّهُ اللهُ، واسْتَعَفَّ عن المسألة أي: عفَّ، وتَعَفَّفَ: تكلف العِفَّةَ.

والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ[(١)].

- **معنى العفة اصطلاحًا:**

هي: (هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة)[(٢)].

وقيل هي: (ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد، ويحفظ صحته فقط، واجتناب السَّرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال)[(٣)].

وقيل هي: (ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط وهو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة)[(٤)].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/٢٥٣). ((مختار الصحاح)) للرازي (٤/١٤٠٥)

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ١٥١).

(٣) ((تهذيب الأخلاق)) المنسوب للجاحظ (ص ٢١)

(٤) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ٣١٨)

الترغيب في العفة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

- وقال سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

(أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: يوسع عليهم من رزقه)(١).

- وقال سبحانه: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

(وقوله: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ أي: وترك وضعهنَّ لثيابهنَّ وإن كان جائزًا خير وأفضل لهن، والله سميع عليم)(٢).

---

(١) ((معالم التنزيل)) للبغوي (٦/٤١).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٦/٨٤)

- وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

يحسبهم (... ﴿الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التفعل من العفة وهي الترك يقال: عفَّ عن الشيء إذا كف عنه، وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاءً، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداءً، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافًا أصلًا لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال)[1].

- وقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[النساء:٦].

(أي: من كان في غُنْية عن مال اليتيم فلْيستعففْ عنه، ولا يأكل منه شيئًا.

---

(١) ((معالم التنزيل)) للبغوي (٣٣٨/١).

قال الشعبي: هو عليه كالميتة والدم)[١].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف))[٢].

(أي العفة من الزنا . قال الطِّيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيذانًا بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أنَّ الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف؛ لأنَّه قمع الشهوة الجبلِّية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعفَّ وتداركه عون الله تعالى ترقَّى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين)[٣].

- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم))[٤].

قال ابن عبد البرِّ في شرحه لهذا الحديث: (اضمنوا لي ستًّا: من الخصال ((من أنفسكم)) بأن تداوموا على فعلها ((أضمن لكم الجنة)) أي دخولها

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٢/٢١٦).

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٥)، والنسائي (٣١٢٠)، وابن ماجه (٢٥١٨). وحسنه الترمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٥/٦)، وصححه ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٣/٥)، وجوَّد إسناده ابن باز في ((حاشية بلوغ المرام)) (٧٦٥).

(٣) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٥/٢٩٦).

(٤) رواه أحمد (٥/٣٢٣) (٢٢٨٠٩)، وابن حبان (١/٥٠٦)، والحاكم (٤/٣٩٩). وصحح إسناده الحاكم، وقال الذهبي في ((المهذب)) (٥/٢٤٥١): إسناده صالح.

((اصدقوا إذا حدثتم)) أي: لا تكذبوا في شيء من حديثكم إلا إن ترجح على الكذب مصلحة أرجح من مصلحة الصدق في أمر مخصوص كحفظ معصوم ((وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم)). قال البيهقي: ودخل فيه ما تقلَّد المؤمن بإيمانه من العبادات، والأحكام، وما عليه من رعاية حق نفسه، وزوجه، وأصله، وفرعه، وأخيه المسلم، من نصحه، وحق مملوكه، أو مالكه، أو موليه، فأداء الأمانة في كل ذلك واجب ((واحفظوا)) أيها الرجال والنساء ((فروجكم)) عن فعل الحرام لثنائه تعالى على فاعليه بقوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ((وغضُّوا أبصاركم)) كفوها عما لا يجوز النظر إليه ((وكفُّوا أيديكم)) امنعوها من تعاطي ما لا يجوز تعاطيه شرعًا، فلا تضربوا بها من لا يسوغ ضربه، ولا تناولوا بها مأكولًا، أو مشروبًا حرامًا، ونحو ذلك، فمن فعل ذلك؛ فقد حصل على رتبة الاستقامة المأمور بها في القرآن، وتخلقوا بأخلاق أهل الإيمان)[1].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: ((إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتى إذا نفد ما عنده. قال: ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم. ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغنِ يغنه الله. ومن يصبر يصبره الله. وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر))[2].

قال ابن عبد البر: (فيه الحض على التعفف والاستغناء بالله عن عباده، والتصبر، وأنَّ ذلك أفضل ما أعطيه الإنسان، وفي هذا كلِّه نهي عن السؤال،

---

(١) ((فيض القدير)) للمناوي (١/٦٨٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

وأمر بالقناعة والصبر)[١].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((سرحتني[٢] أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: من استغنى أغناه الله عز وجل ومن استعفَّ أعفَّه الله عزَّ وجلَّ، ومن استكفى كفاه الله عزَّ وجلَّ، ومن سأل وله قيمة أوقية، فقد ألحف. فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت ولم أسأله))[٣].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: ((اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى))[٤].

قال النووي: (أما العفاف والعفة؛ فهو التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم)[٥].

أقوال السلف والعلماء في العفة:

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة، ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش، والمروءة الباطنة العفاف)[٦].

- وقال رضي الله عنه وهو على المنبر: (لا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب؛ فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها، ولا تكلفوا الصغير الكسب؛ فإنه إذا لم يجد يسرق، وعفُّوا إذا أعفَّكم الله، وعليكم من المطاعم

(١) ((التمهيد)) لابن عبد البر (١٣٣/١٠).
(٢) السرح: الإرسال. يقال: سرح إليه رسولاً: أي أرسله. ((تاج العروس)) للزبيدي (٤٦٣/٦).
(٣) رواه النسائي (٢٥٩٥)، وأحمد (٩/٣) (١١٠٧٥). وصحح إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (٣٢٩/١)، وجود إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٤٠١/٥).
(٤) رواه مسلم (٢٧٢١).
(٥) ((شرح صحيح مسلم)) (٤١/١٧).
(٦) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١٥٠/٢).

بما طاب منها)[١].

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (نحن معشر قريش نعدُّ الحلم والجود السؤدد، ونعدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة)[٢].

- وقدم وفد على معاوية فقال لهم: (ما تعدون المروءة؟ قالوا: العفاف وإصلاح المعيشة، قال: اسمع يا يزيد)[٣].

- وقال محمد بن الحنفية (الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة)[٤].

- وقال عمر بن عبد العزيز: (خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة: أن يكون فهمًا[٥] حليمًا عفيفًا صليبًا[٦]، عالمًا سؤولًا عن العلم)[٧].

- وقال أيوب السختياني: (لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عن أموال الناس، والتجاوز عنهم)[٨].

- وقال الحسن البصري: (لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به، وكرهوا حديثه وأبغضوه).

---

(١) رواه مالك (٢/٩٨١) (٤٢)، والطحاوي في ((شرح المشكل)) (٢/٨٦) (٦٢٢)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١١/٨٩) موقوفًا على عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٢/٢١٥).

(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/١٥٠).

(٤) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣٢٩).

(٥) فهمًا: بفتح الفاء وكسر الهاء وهو من صيغ المبالغة، ويجوز تسكين الهاء أيضا. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٣/١٤٩).

(٦) صليبًا: من الصلابة بوزن عظيم، أي قويًا شديدًا يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى، ويستخلص حق المحق من المبطل ولا يحابيه. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٣/١٤٩).

(٧) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث (٧١٦٣).

(٨) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ٣١٩).

- وقال الشافعي: (الفضائل أربع: إحداها: الحكمة، وقوامها الفكرة. والثانية: العفَّة، وقوامها الشهوة.

والثالثة: القوة، وقوامها الغضب. والرابعة: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس).

- وقال أبو حاتم البستي: (أعظم المصائب: سوء الخلق، والمسألة من الناس، والهم بالسؤال نصف الهرم، فكيف المباشرة بالسؤال، ومن عزت عليه نفسه، صغرت الدنيا في عينيه، ولا ينبل الرجل حتى يعفَّ عما في أيدي الناس، ويتجاوز عما يكون منهم، والسؤال من الإخوان ملال، ومن غيرهم ضد النوال)[١].

- وعن المديني قال: (كان يقال: مروءة الصبر عند الحاجة والفاقة بالتعفف، والغنى أكثر من مروءة الإعطاء)[٢].

فوائد العفة:

١- سلامة المجتمع من الفواحش:

فالمجتمع الذي يتصف بالعفة يكون بعيدًا من الفواحش والرذائل.

٢- أن العفيف من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

(ورجلٌ طلَبَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمالٍ، فقال إني أخافُ اللهَ)[٣]

٣- العفة سبب للنجاة من الابتلاءات والمضائق:

فقد جاء في قصة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة، أن

(١) ((روضة العقلاء)) (ص ١٤٦).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٥١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

أحدهم توسل إلى الله بقوله: ((اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار؛ فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه[١]، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا))[٢].

٤- إعانة الله لمن أراد العفاف:

إن الله سبحانه وتعالى تكفل بمقتضى وعده إعانة من يريد النكاح حتى يعفَّ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة حقٌّ على الله عزَّ وجل عونهم: المكاتَب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله))[٣].

أقسام العفة:

(العفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم.

فأما العفة عن المحارم فنوعان:

أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام.

والثاني: كف اللسان عن الأعراض.

---

(١) بحقه: أرادت به الحلال، أي لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح. ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/٥٠٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه الترمذي (١٦٥٥)، والنسائي (٣١٢٠)، وابن ماجه (٢٥١٨). وحسنه الترمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٥/٦)، وصححه ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٣/٥)، وجوَّد إسناده ابن باز في ((حاشية بلوغ المرام)) (٧٦٥).

فأما ضبط الفرج عن الحرام؛ فلأنه مع وعيد الشرع، وزاجر العقل معرة فاضحة، وهتكة واضحة)[١].

(وأما العفة عن المآثم فنوعان: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة)[٢].

شروط العفة:

ذكر الراغب الأصفهاني شروطًا للعفة في كتابه (الذريعة)[٣] وهي:

١- أن لا يكون تعففه عن الشيء انتظارًا لأكثر منه.

٢- أو لأنه لا يوافقه.

٣- أو لجمود شهوته.

٤- أو لاستشعار خوف من عاقبته.

٥- أو لأنه ممنوع من تناوله.

٦- أو لأنه غير عارف به لقصوره.

فإنَّ ذلك كله ليس بعفة، بل هو إما اصطياد، أو تطبب، أو مرض، أو خرم، أو عجز، أو جهل، وترك ضبط النفس عن الشهوة أذم من تركها عن الغضب.

فالشهوة مغتالة مخادعة، والغضب مغالب، والمتحيز عن قتال المخادع أردأ حالا من المتحيز عن قتال المغالب. ولهذا قيل: عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرقِّ، وأيضًا بالشَّرَه قد يجهل عيبه.

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣٢١).

(٢) ((المصدر السابق)) بتصرف (ص ٣٢٩) .

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٣١٩) بتصرف.

أساس العفة وتمامها:

قال الراغب الأصفهاني وهو يبين أساس وتمام العفة: (وأسها يتعلق: بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية، وعن اعتقاد ما يكون جالبًا للبغي والعدوان.

وتمامها يتعلق: بحفظ الجوارح، فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني وسوء الظنِّ، اللذان هما أسُّ كلِّ رذيلة، لأن من تمنى ما في يد غيره حسده، وإذا حسده عاداه، وإذا عاداه نازعه، وإذا نازعه ربما قتله.

ومن أساء الظنَّ عادى وبغى وتعدى، ولذلك نهى الله سبحانه عنهما جميعًا فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فأمر فيهما بقطع شجرتين يتفرع عنهما جلُّ الرذائل والمآثم.

ولا يكون الإنسان تامَّ العفة؛ حتى يكون عفيف اليد، واللسان، والسمع، والبصر.

فمن عدمها في اللسان: السخرية، والتجسس، والغيبة، والهمز، والنَّمِيمَة، والتنابز بالألقاب.

ومن عدمها في البصر: مدُّ العين إلى المحارم، وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة.

ومن عدمها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة.

وعماد عفة الجوارح كلِّها، ألا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكلِّ واحد منهما، إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى)(١).

---

(١) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٣١٨).

صور العفة:

١- العفة عما في أيدي الناس:

وهي أن يعفَّ عما في أيدي الناس، ويترك مسألتهم، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفَّل له بالجنة)). فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا[1].

٢- العفة عما حرم الله:

وهي أن يعفَّ عن المحرمات والفواحش. ونذكر هنا عفة نبي الله يوسف عليه السلام؛ حيث وجدت دواعي الفتنة، ولم يستسلم أمام التهديدات والإغراءات.

٣- كف اللسان عن الأعراض:

يجب على المسلم كف لسانه عن أعراض الناس، وأن لا يقول إلا طيبًا. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه، ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه))[2].

موانع العفة:

المعوقات التي تقف في طريق العفة في هذا الزمن كثيرة جدًّا، وقد أُعلنت الحرب على العفة، وتضاعفت جهود أهل الباطل، حتى تنتشر الرذيلة، وتشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، واتخذوا الوسائل العديدة فمنها:

(١) رواه أبو داود (١٦٤٣)، وأحمد (٥/٢٧٦) (٢٢٤٢٨)، والحاكم (١/٥٧١). وصحح إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢/٣٩)، وصحح إسناده النووي في ((رياض الصالحين)) (٢٣٧)، وصححه الألباني في ((صحيح أبي داود)) (١٦٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٠).

١- وسائل الإعلام:

فإنَّ الناظر إلى أغلب وسائل الإعلام الموجودة في البلاد الإسلامية فضلًا عن غيرها، يجد فيها الكثير من الفساد، سواء كان في القنوات الفضائية، أو الشبكة العنكبوتية، أو الإذاعات والمجلات والصحف، فتجدها تبث السموم وتنشر الرذيلة، وتدعو إلى خلاف العفة.

٢- الاختلاط والخلوة:

(إن العِفَّة حجاب يُمَزِّقه الاختلاط، ولهذا صار طريق الإسلام التفريق والمباعدة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، فالمجتمع الإسلامي مجتمع فردي لا زوجي، فللرجال مجتمعاتهم، وللنساء مجتمعاتهنَّ، ولا تخرج المرأة إلى مجتمع الرجال إلا لضرورة أو حاجة بضوابط الخروج الشرعية.

كل هذا لحفظ الأعراض والأنساب، وحراسة الفضائل، والبعد عن الرِّيب والرذائل، وعدم إشغال المرأة عن وظائفها الأساس في بيتها، ولذا حُرِّم الاختلاط، سواء في التعليم، أم في العمل، والمؤتمرات، والندوات، والاجتماعات العامة والخاصة، وغيرها؛ لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾[الأحزاب: ٥٣].

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إياكم والدخول على النساء! فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو

(١) ((حراسة الفضيلة)) لبكر أبو زيد (٩٧-٩٨).

قال الحمو الموت[١].))[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ ، ولا تسافِرَنَّ امرأةٌ وإلا معها محرمٌ))[٣].

٣- تبرج النساء:

فتبرج النساء من الأسباب التي تعوق العفة؛ لذا أُمرت المرأة بالقرار في البيت، قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإذا خرجت التزمت بالضوابط الشرعية للخروج، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]، قال السعدي في تفسيره لهذه الآية: (أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن، ليصوت ما عليهن من حلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة. ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأنَّ الأمر إذا كان مباحًا، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع منه)[٤].

٤- استماع الأغاني والمعازف:

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي عامر الأشعري رضي الله عنه قال: ((والله ما كذبني سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليكونن من

---

(١) الحمو الموت: معناه أن الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه. ((شرح النووي على مسلم)) (١٥٤/١٤).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (٥٦٦).

أمتي أقوام يستحلون الحر[١]، والحرير، والخمر، والمعازف))[٢].

(والحكمة في التحريم ظاهرة: حيث أن المتتبع لمجالس الغناء الفاسق، ومسارح الطرب، وأماكن اللهو، وما يصاحبها من معازف وآلات، في ذلك يجد الرقص الخليع الفاجر، من نساء امتهنَّ الرذيلة والفاحشة، ويجد العربدة والصياح المتعالي من أفواه السكارى، ويجد الكلمات البذيئة الفاحشة العارية من الحياء والخجل، والمتخمة بالوقاحة وسوء الأدب، يجد الاختلاط الشائن بين عوائل متحللة؛ حيث التخلع والمراقصة وهدر النخوة والشرف... وباختصار يجد التحلل والإباحية في أسوأ تبذلها ومظاهرها)[٣].

قال الفُضَيل بن عِيَاض: الغناء رُقْيَة الزنا[٤].

وقال ابن القيم: (فإنه رُقْيَة الزنا ومُنبِت النفاق وشَرَك الشيطان وخمرة العقل، وصَدُّه عن القرآن أعظم من صدِّ غيره من الكلام الباطل؛ لشدة ميل النفوس ورغبتها فيه)[٥].

الوسائل المعينة على العفة:

١- أن يتقي الله في سره وعلانيته:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ

(١) الحر: فرج المرأة، قيل: أصله حرح فحذفت الأخيرة تخفيفا وهي ظاهرة في الجمع. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠٤/١).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٥٥٩٠)، وصححه ابن القيم في ((تهذيب السنن)) (١٥٣/١٠).

(٣) ((تربية الأولاد في الإسلام)) لعبد الله العلوان (٩٢١/٢-٩٢٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ((ذم الملاهي)) (٥٥).

(٥) ((إغاثة اللهفان)) (٢٤٠/١).

وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام:٣] ويقول تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ قال: (هو الرجل يكون بين الرجال، فتمر بهم امرأة فينظر إليها، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصره)[١].

٢- أن يدعو الله بأن يصرف عنه السوء والفحشاء:

قال سبحانه وتعالى عن نبيه يوسف عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤]، قال ابن تيمية: (فلا بد من التقوى بفعل المأمور، والصبر على المقدور، كما فعل يوسف عليه السلام اتقى الله بالعفة عن الفاحشة، وصبر على أذاهم له بالمراودة والحبس، واستعان الله ودعاه حتى يثبته على العفة، فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن، وصبر على الحبس)[٢].

٣- تنشئة الأبناء على التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية من أهم الوسائل المعينة على العفة، والتي ينبغي فيها مراعاة غرس الفضيلة والعفة في الأبناء، والتربية على الالتزام بالأحكام الشرعية منذ نعومة أظفارهم.

٤- الزواج:

الزواج المبكر من أقوى الوسائل المعينة للعفاف، قال صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[٣]؛ فليتزوج فإنه أغض للبصر،

---

(١) ((تفسير القرآن)) لأبي المظفر السمعاني (١٣/٥).
(٢) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٣١/١٥)
(٣) الباءة: الجماع. ((شرح النووي على مسلم)) (١٧٣/٩).

وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء[١].))[٢].

٥- سد الذرائع التي تؤدي إلى الفساد:

- عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية:

قال صلى الله عليه وسلم: ((الحمو الموت))[٣]، وقال: ((ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما))[٤].

قال ابن تيمية: (ولهذا حرمت الخلوة بالأجنبية؛ لأنها مظنة الفتنة. والأصل أن كل ما كان سببًا للفتنة فإنه لا يجوز؛ فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدُّها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة؛ ولهذا كان النظر الذي يفضي إلى الفتنة محرمًا إلا إذا كان لمصلحة راجحة مثل: نظر الخاطب، والطبيب، وغيرهما؛ فإنَّه يباح النظر للحاجة؛ لكن مع عدم الشهوة)[٥].

- عدم التبرج:

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

- الاستئذان عند الدخول:

وقد جعل الاستئذان من أجل البصر كما قال صلى الله عليه وسلم، وقال

(١) الوجاء: فبكسر الواو وبالمد وهو رض الخصيتين والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء. ((شرح النووي على مسلم)) (١٧٣/٩).
(٢) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٥١/٢١).

سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ [النور: ٢٧].

- غض البصر:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَـٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ ﴾ [النور: ٣٠].

قال ابن القيم: (فلما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره... وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدركٌ ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذِّبه))[٢].

وكما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر[٣]

(١) ((روضة المحبين)) (ص ٩٢).
(٢) رواه مسلم (٢٦٥٧).
(٣) ((الكبائر)) للذهبي (٥٩).

- **التفريق في المضاجع:**

لابد من التفريق في المضاجع بين الأولاد، كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم: ((مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع))(١).

(فهذا الحديث نصٌّ في النهي عن بداية الاختلاط داخل البيوت، إذا بلغ الأولاد عشر سنين، فواجب على الأولياء التفريق بين أولادهم في مضاجعهم، وعدم اختلاطهم، لغرس العفة والاحتشام في نفوسهم، وخوفًا من غوائل الشهوة التي تؤدي إليها هذه البداية في الاختلاط، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)(٢).

٦- إقامة الحدود:

فإقامة الحدود تردع لمن تسول له نفسه أن يقوم بأمر حذر منه الشارع.

نماذج في العفة:

- **عفة يوسف عليه السلام:**

فقد أخبر الله سبحانه (عن عشق امرأة العزيز ليوسف، وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله، فإن مواقعة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي هاهنا في غاية القوة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (١٨٧/٢) (٦٧٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. صححه ابن الملقن في ((البدر المنير)) (٢٣٨/٣)، وابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (١٨٦/٢٩)، والألباني في ((الإرواء)) (٢٩٨)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((تخريج المسند)) (٣٦/١١).

(٢) ((حراسة الفضيلة)) لبكر أبو زيد (ص ١٢٩).

وذلك من وجوه:

أحدها: ما ركَّبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة.

الثاني: أنَّ يوسف عليه السلام كان شابًّا، وشهوة الشباب وحدَّته أقوى.

الثالث: أنَّه كان عزبًا، ليس له زوجة ولا سرية تكسر شدة الشهوة.

الرابع: أنَّه كان في بلاد غربة، يتأتَّى للغريب فيها من قضاءِ الوطر ما لا يتأتى له في وطنه وبين أهله ومعارفه.

الخامس: أنَّ المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث إنَّ كلَّ واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها.

السادس: أنها غير ممتنعة ولا آبية.

السابع: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب، وذلَّ الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: أنَّه في دارها، وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: أنَّه لا يخشى أن تنمَّ عليه هي ولا أحد من جهتها، فإنها هي الطالبة الراغبة، وقد غلَّقت الأبواب، وغيَّبت الرقباء.

العاشر: أنَّه كان في الظاهر مملوكًا لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا ينكر عليه، وكان الأنس سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهنَّ، وشكت حالها إليهن؛ لتستعين بهنَّ عليه.

الثاني عشر: أنها توعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه.

الثالث عشر: أنَّ الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلًّا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلها به أن قال ليوسف: ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ وللمرأة: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع، وهنا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها فآثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾. وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأنَّ ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن؛ صبا إليهنَّ بطبعه، وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه)[1].

- **عفة جريج العابد:**

– نموذج آخر في العفة عما حرم الله، وهو جريج العابد؛ تتعرض له بغي من بغايا بني إسرائيل، فيعفُّ نفسه ولا يلتفت إليها، فتحاول أن تنتقم منه لامتناعه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه ((... تذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم –قال– فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته[2] فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه،

(١) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص ٢٠٨) بتصرف.
(٢) الصومعة: هو منارة الراهب ومتعبده. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٤٥).

فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه، وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي -قال- فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا أعيدوها من طين كما كانت))[١].

• نماذج من عفة النبي صلى الله عليه وسلم:

- كان النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات العفة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كخ كخ[٢]! ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة))[٣].

- وعنه أيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إني لأنقلب إلى أهلي؛ فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها))[٤].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة في الطريق قال: ((لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها))[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٠).

(٢) كخ كخ: هو زجر للصبي وردع. ويقال عند التقذر أيضًا فكأنه أمره بإلقائها من فيه وتكسر الكاف وتفتح وتسكن الخاء وتكسر بتنوين وغير تنوين. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢٧٣/٤).

(٣) رواه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩).

(٤) رواه البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠).

(٥) رواه البخاري (٢٤٣١).

• نماذج من عفة الصحابة رضي الله عنهم:

عفة حكيم بن حزام رضي الله عنه:

- عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: ((سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة[١]؛ فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس، لم يبارك له فيه، كالذي يأكل، ولا يشبع اليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ[٢] أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، أني أعرض عليه حقَّه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي))[٣].

عفة مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه:

- عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: ((كان رجل يقال له: مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلًا يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلا من أسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من

---

(١) خضرة حلوة: شبهه في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء والله أعلم. ((شرح النووي على مسلم)) (١٢٦/٧).

(٢) لا أرزأ: من الرزء بالفتح وهو النقص. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٢٢/١).

(٣) رواه البخاري (١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥). واللفظ للبخاري.

حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط، فلما انتهت إليَّ عرَفَتْ، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحبًا وأهلًا، هلمَّ فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق، حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام، هذا الرجل يحمل أُسراءَكم[١]، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة، فانتهيت إلى كهف أو غار فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فظل بولهم على رأسي وعمَّاهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلًا ثقيلًا حتى انتهيت إلى الإذخر[٢]، ففككت عنه أكبله[٣]، فجعلت أحمله ويعييني حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أنكح عناقًا؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردَّ علي شيئًا حتى نزلت ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ﴾ [النور: ٣]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، فلا تنكحها))[٤].

عفة عثمان بن طلحة رضي الله عنه:

- حادثة تبين لنا عفة وشهامة عثمان بن طلحة رضي الله عنه، ولنترك

---

(١) أسراءكم: بضم الهمزة وفتح السين جمع أسير، والمعنى تنبهوا يا أهل الخيام وخذوا هذا الرجل الذي يذهب بأساراكم. ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (١٧/٩).

(٢) الإذخر: بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيت فوق الخشب وهمزتها زائدة. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٦٥/١).

(٣) أكبله: جمع قلة للكبل: القيد. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢٤٨/٤).

(٤) رواه الترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨). قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٢٦٠/٦): حسن صحيح جدًّا. وحسن إسناده الألباني في ((صحيح النسائي)) (٣٢٢٨).

المجال لصاحبة الموقف أُمِّ سلمة رضي الله عنها تروي لنا القصة فتقول: ((... وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرَّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كلَّ غداة فأجلس بالأبطح(١)، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، قالت: فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله، قالت: قلت: [أتبلغ] بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وابني هذا، قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي به، فوالله ما صحبت رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا نزلنا استأخر ببعيري فحطَّ عنه، ثم قيَّده في الشجرة، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، فقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة بها نازلًا – فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، قال: وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما

---

(١) أبطح مكة، وهو مسيل واديها. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/ ١٣٤).

أصاب أبو سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة))[١].

- **نماذج من عفة السلف:**

عفة سالم بن عبد الله بن عمر:

- قال ابن عيينة: (دخل هشام الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال: سلني حاجة. قال: إني أستحيي من الله أن أسأل في بيته غيره. فلما خرجا، قال: الآن فسلني حاجة. فقال له سالم: من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا. قال: والله ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟)[٢].

عفة الربيع بن خُثيم:

- عن سعدان قال: (أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خُثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟[٣] أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيًّا عليها. فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق)[٤].

---

(١) ((سيرة ابن هشام)) (٤٦٩/١)، وذكره ابن منده في ((الفوائد)) (٢٩٢-٢٩٣).

(٢) رواه الدينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (٣٨٤/١).

(٣) الوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤٤١/١٣).

(٤) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (١٩١/٣)

عفة الأشرف، صاحب دمشق:

- قال سبط الجوزي: (كان الأشرف يحضر مجالسي بحرَّان، وبخلاط، ودمشق، وكان ملكًا عفيفًا، قال لي: ما مددت عيني إلى حريم أحد، ولا ذكر ولا أنثى، جاءتني عجوز من عند بنت صاحب خلاط شاه أرمن بأنَّ الحاجب عليًّا أخذ لها ضيعة، فكتبت بإطلاقها. فقالت العجوز: تريد أن تحضر بين يديك. فقلت: باسم الله، فجاءت بها، فلم أر أحسن من قوامها، ولا أحسن من شكلها، فَخَدَمَت، فقمت لها، وقلت: أنت في هذا البلد وأنا لا أدري؟ فسفرت عن وجه أضاءت منه الغرفة، فقلت: لا، استتري. فقالت: مات أبي، واستولى على المدينة بكتمر، ثم أخذ الحاجب قريتي، وبقيت أعيش من عمل النقش وفي دار بالكراء. فبكيت لها، وأمرت لها بدار وقماش، فقالت العجوز: يا خوند، ألا تحظى الليلة بك؟ فوقع في قلبي تغير الزمان وأنَّ خلاط يملكها غيري، وتحتاج بنتي أن تقعد هذه القعدة، فقلت: معاذ الله، ما هذا من شيمتي. فقامت الشابة باكية تقول: صان الله عواقبك[١].)[٢].

العفة في واحة الشعر:

قال الشافعي:

عِفُّوا تعِفَّ نساؤكم في المحرمِ وتجنَّبُوا ما لا يليقُ بمسلمِ
إنَّ الزِّنا دَينٌ إذا أقرضتَه كان الوفا مِن أهلِ بيتِك فاعلمِ
يا هاتكًا حُرَمَ الرجالِ وقاطعًا سُبلَ المودةِ عشتَ غيرَ مُكرَّمِ
لو كنتَ حرًّا مِن سُلالةِ ماجدٍ ما كنتَ هتَّاكًا لحرمةِ مُسلمِ

---

(١) عقب كل شيء: آخره. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٦١١/١).
(٢) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٢٦/٤٢).

من يزنِ يُزنَ به ولو بجدارِه ... إن كنتَ يا هذا لبيبًا فافهمِ[١]

وقال معن بن أوس:

لعمرُكَ ما أهويتُ كفِّي لريبةٍ ... ولا حملتني نحوَ فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلَّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلمُ أني لم تُصبني مصيبةٌ ... مِن الدهر إلا قد أصابتْ فتًى قبلي
ولست بماشٍ ما حييتُ بمنكرٍ ... مِن الأمرِ لا يسعَى إلى مثلِه مثلي
ولا مُؤْثرًا نفسي على ذي قرابةٍ ... وأُوثرُ ضيفي ما أقام على أهلي[٢]

وقال آخر:

تقنَّع بالكفافِ تعشْ رخيا ... ولا تبغِ الفضولَ مِن الكفافِ
ففي خبزِ القفارِ بغيرِ أُدْمٍ ... وفي ماءِ [القِراحِ] غنًى وكافِ
وفي الثوب المرقَّع ما يُغطَّى ... به مِن كلِّ عُريٍ وانكشافِ
وكلُّ تزيُّنٍ بالمرءِ زينٌ ... وأزينُه التزيُّنُ بالعفافِ[٣]

وقال آخر:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ ... فإنَّ ذلك نقصٌ منك في الدِّينِ
لن يقدرَ العبدُ أن يعطيَك خَرْدلةً ... إلا بإذنِ الذي سوَّاك مِن طينِ
فلا تصاحبْ غنيًّا تستعزُّ به ... وكن عفيفًا وعظِّمْ حُرمةَ الدِّينِ
واسترزقِ اللهَ ممَّا في خزائنِه ... فإنَّ رزقَك بينَ الكافِ والنُّونِ

(١) ((ديوان الإمام الشافعي)) (ص ١٠٨).
(٢) ((أمالي القالي)) (٢/٢٣٤).
(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٥٠).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

